

## الباب الأول

### الاتجاه الغربى

الفصل الأول: مراحل الغزو الفكرى الغربى.

الفصل الثانى: التغيير السياسى والاجتماعى فى المنطقة

الإسلامية.

الفصل الثالث: ماذا يفعل بنا الصليبيون؟



## الفصل الأول

### مراحل الغزو الفكري الغربي

مقدمة:

وجود الغرب المسيحي هنا في شرقنا الإسلامى لم يكن صدفة ، بدأ بالوجود المادى العسكرى ، وتبعه الاستشراق والتبشير ( الوجود المعنوى ) ، وأعقبه مرة أخرى الوجود العسكرى ( الاستعمار وتقطيع أوصال دولة الخلافة الإسلامية ) ، ثم أعقبه بث فكرة فصل الدين عن الدولة ، وفكرة القومية ، ثم الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وأخيرا - حين رحلت جنوده - أبقى له جنودا آخرين ، من جلدتنا ويتحدثون بلساننا ، وبهم أجرى التغيير السياسى المطلوب ، وأجرى التغيير الاجتماعى المقصود .

ولنحاول أن نقسمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى :

مرحلة ما قبل إسقاط الخلاف الإسلامية ، وتحدث عنها في مبحث أول .

المرحلة الثانية :

مرحلة الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وتحدث عنها في مبحث ثان .

المرحلة الثالثة :

مرحلة ما بعد إسقاط دولة الخلافة ، وتحدث عنها في مبحث ثالث .

## المبحث الأول

### مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الإسلامية

أرت وتبدأ بالحروب الصليبية، ثم الاستشراق، ثم التبشير.

#### أولا : الحروب الصليبية

لسنا نكتب تاريخا، ولكننا نستخلص عبرا من الحقائق التاريخية المسلم بها، فمن هذه الحقائق أن الغرب جرد حملات غزت الشرق الإسلامي باسم الصليب وتمت رايته، وكان رجال الكنيسة في أوروبا يدفعون الملوك والشعوب إلى هذه الحروب<sup>(١)</sup>، فالتحذت بذلك طابعا دينيا شكلا وموضوعا، وكان تفرق المسلمين إلى دويلات، وضعف دولتهم مشجعا لهم على ذلك الغزو، وليس صحيحا ما يحاول بعض الكتاب العرب تصويره من أنها كانت مجرد حملات استعمارية باحثة عن

---

(١) أول من دعا إلى هذه الحروب الصليبية - كما يقول صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامي - هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢ م، ولكنه لم يوفق، ثم البابا خريغوريوس سنة ١٠٧٥ م، لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧ - وكان كتاب النصراري ومفكروهم يجرسون عليها، كذلك نذكر منهم، هلتون سانتو، ومارينو، وبين دييوا، جيلوم دي نوجارى، ريموند لول بتراك. وفي كتاب تاريخ البابوات، تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف ألّب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين، وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية راجع: حاضر العلم الإسلامي، تأليف لوثرروب ستودارد، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويض، وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان - دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ص ٢١٨. وقد كتب كارلس الثامن إلى رئيس فرسان رودس يكشفه. بها نواه من نشر الديانة المقدسة الكاثوليكية وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخنوع للأمية الجاحدة، واسترداد الأراضي المقدسة المغصوبة، فأجابه رئيس الفرسان متيمنا مؤملا هذه المرة استئصال شأفة الأمة الملعونة أمة محمد ص ٥٩ من كتاب: مائة مشروع لتقسيم تركيا - تأليف المسيو دجوقارا (الأمانى المرجع السابق ص ٢٢٨). ويشير المؤرخون إلى أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩ م الموافق ٢ رمضان ٤٩٣ هـ ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبحت الخيل إلى صدورهما في الدماء، وفي أنطاكية قتلوا في الطريق أكثر من مائة ألف مسلم. راجع، حاضر العالم الإسلامي، وراجع كذلك جوستاف لويون في كتابه: حضارة العرب.

المصالح الاقتصادية .نعم، قد يكون الاستعمار والاستغلال الاقتصادي من أهدافها، لكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول الرئيسي، إنما كان هذا هدفا دينيا، ولم تكن حماسة رجال الدين المسيحي ولا مشاركتهم في هذه الحملات عفوا ولا لغوا، ولكنه كان قصدا إلى الانتقام من غزو الإسلام لقلب أوروبا، حتى صار البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية خالصة، وحتى بلغ المسلمون جنوب فرنسا، ثم قصدا بعد الانتقام إلى إدخال المسلمين في المسحية ذاتها، وهو ما ستفسره المرحلة التالية لهذه الحروب، والأمران يفسرهما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقد يكون صحيحا ما أشار إليه كاتب أمريكي<sup>(١)</sup>، من أن اليهود كانوا وراء الحروب الصليبية، قصدا إلى أضعاف العالمين المسيحي والإسلامي كما أشار، ثم تحقيقا لمزيد من الكسب والربا أثناء تلك الحروب .

لكن، لو لم يجردهم اليهود لتحركوا كذلك، فإن ما بدا منهم في تلك الحروب ينم عن حقد دفين، وما تخفى صدورهم أكبر .

### العصمة في الإسلام للأمة لا للإمام :

ولئن كانت الدولة الإسلامية في ذلك الحين مفككة الأوصال، فلقد جعل الله من معجزات دينه - بعد القرآن - هذه الأمة، فلقد حولها القرآن بحق خيرية أخرجت للناس، حتى صح ما قيل من أن العصمة في الإسلام للأمة لا للإمام، أخذنا من قول الرسول ﷺ: « لا تجتمع أمتي على ضلالة »، ثم استمدادا من أحداث التاريخ التي ظلت معها الأمة الإسلامية صامدة شامخة، برغم ما وجه إلى صدرها وقلبها من سهام وحراب .. ! .

(١) الكاتب الأمريكي : وليام غاي فار .

انتفضت الأمة لما رأت الصليب فوق رؤوس أعدائها ، انتفضت تحارب أعداء الله وأعداءها بكل سبيل، واسترخصت الدم والروح في سبيل الله وتعجلت لقاء الله وجنته، فأعطاها الله الحسين النصر والجنة، وارتدت حملات الصليب على أعقابها خاسرة بعد معارك طاحنة استمرت قرنين كاملين، وفي قصص التاريخ لبطولات المسلمين في هذه الحروب، وتفنتهم فيها ما يحتاج إلى أن يكتب بأحرف من نور .

وبرز نور الدين الشهيد محمود بن زنكى التركى ، ثم برز صلاح الدين الأيوبي الكردي ، وغيرهما ممن قادوا جماهير الأمة إلى النصر ؛ لتثبت عالمية هذه الدعوة ، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وجاهد جماهير من التركستان الحبيبة ( التى ترزح تحت الإلحاد الشيوعى المجرم ) وحرروا أرض الإسلام من جحافل الصليبية الحاقدة ، بينما لم يجد هؤلاء من يقف إلى جوارهم يوم أعدمت روسيا منهم ثلاثة ملايين !

وأيقن الغرب المسيحي أنه مهما ضعفت دولة الإسلام ، فإنه لن يستطيع النيل منها ومن أمتها ، حتى ينال أولا عقيدتها وفكرها .

وكانت المرحلة الثانية - مرحلة الاستشراق والتبشير .

### ثانيا : الاستشراق

وقبل أن يظهر التبشير - كبديل عن الحروب لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم - نشير إلى أن الحروب الصليبية أنتجت كذلك إنتاجا فكريا ( هو الاستشراق ) ، إذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبي إلى الكتابة عن الإسلام ، فأفقدتهم التعصب أمانة العلم ، وعمدوا إلى تشويه الإسلام من عدة نواح .

- فرددوا أن القرآن من وضع محمد ﷺ ، وأن سذاجة الصحابة وإيمانهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله .

- وخلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية ( القرآن والسنة )  
وبين الاجتهاد ، ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في منزلة !  
- ودعوا إلى التصوف الإسلامي؛ لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف  
أصحابه عن الجهاد ، وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم ( راجع الصوفية في  
الإسلام للمستشرق نيكلسون ص ٧ ، ٨ ) .

وقد بدأ الاستشراق في الأندلس ( أسبانيا ) في القرن السابع الهجري ، حين  
اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين ، فدعا ( ألفونس ) ملك قشتالة  
ميشيل سكوت ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم ، فجمع سكوت طائفة  
من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة ، وشرعوا يترجمون بعض  
الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة ، ثم قدمها سكوت لملك صقلية الذي أمر  
باستنساخ نسخ منها وبعث بها هدية إلى جامعة باريس .

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير في الترجمة ، ومع  
الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم من إلهيات ،  
وطب ، وهندسة وفلك ، وغيرها ، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوروبا مطابع  
عربية لطبع عدد من الكتب التي كانت تدرس في المدارس ، والجماعات الأوربية .

ولم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين ، بل كانت مهمة كل من  
الطائفتين تدخل في الأخرى . وكان فشل الصليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق  
الإسلامي دافعا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية ، وقد ظهرت أخيرا وثيقة  
خطيرة تلقى الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري ،  
وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية  
الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع (لويس) في أسر المصريين في مدينة  
المنصورة ، وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر ، وبعد أن

عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر، والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية؛ لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة، والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام، وصون الحرمات والأعراض به، والمسلمون قادرون دوماً للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة، وأنه لا بد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامى، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به (الفكر) الإسلامى، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة فى ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة، التى تحمل طابع الجهاد، وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد.

وقد سار الأوربيون فى طريق تنفيذ وصية القديس لويس فى تزييف العقيدة الإسلامية، وامتصاص ما فيها من قوة، وجهاد، وإيمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة، وتصوير الإسلام بصورة الدين الذى يبذل غاية همه فى العبادة كالمسيحية، إلى أن وصلوا إلى الفصل بين الدين والدولة، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن فى أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم<sup>(١)</sup>.

ويرى كثير من الباحثين أن الاستشراق تولد من الاستعمار والتبشير.

فالاستعمار: يرى فى المفهوم الإسلامى السليم ما يعطى المجتمع الإسلامى قوة تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار، فعمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، وإحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها، تحت اسم: الحضارة، أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشرى.

وأما التبشير، فإنه يستهدف الخيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وعدم منافسته للمسيحية فى البلاد التى تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها.

(١) الإسلام فى وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير للأستاذ أنور الجندى ص ٧، ٨.

والخطر الأكبر في نظر المبشرين هو في وصول مفاهيم الإسلام الصحيحة إلى عالم الغرب نفسه ، وما يذكر أن المسلمين لما فتحوا مدينة القسطنطينية - عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وفيها مركز البابوية للكنائس الشرقية - هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم ، فأخذوا في الافتراء والتشنيع على الإسلام وتشوية أحكامه الإلهية العادلة ، وكان الدافع لهم في هذه الحملة الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول في دين الله أفواجا ، ليصدوهم عن الإسلام الذي يبيح تعدد الزوجات والطلاق .

وجاءت الصهيونية ، فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين في وحدة تقاوم اليهودية العالمية ، وتواجه دولة اليهود الباغية (إسرائيل) ، والمستشرقون اليهود يعملون في هذا المجال .

### تطور الاستشراق :

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) عمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم ، وأرادوا أن يظهرها بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمي البحت ، فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن ، وباريس ، وليدن ، وبرلين وبطرسبرج ، وغيرها ، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية ، والتركية ، والأردية ، وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية ، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوربية للدراسة فيها ، وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يلقىه المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين ، ثم تسلسل المستشرقون إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية ، بل إلى الجامعات العلمية في القاهرة ودمشق ، وبغداد ، وقامت المؤسسات

الدينية، والسياسية، والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك في الماضي من الإغداق على المستشرقين ، وتقديم المنح والمعونات لهم .

وقد أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهريا، وكان هدفها الحقيقي خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي، من هذه المؤسسات في مصر : المعهد الشرقي بدير الدومينيكان ، والمعهد الفرنسي، وندوة الكتاب ، ودار السلام، والجامعة الأمريكية، وفي لبنان : جامعة القديس يوسف ( وهي جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية ) والجامعة الأمريكية ببيروت، ( وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الإنجيلية وهي بروتستانتية)، وفي سورية : مدارس اللايك، والفريز، ودار السلام، وغيرها .. وهكذا في كل الأقطار الإسلامية ..

#### أهداف المستشرقين :

أولا : الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام ، فقد عمل المستشرقون على تشوية الإسلام وحجب محاسنه ؛ لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم نظام حياة ، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التي قام لأجلها الاستشراق والتبشير، وذلك في أعقاب الحروب الصليبية، وعودة المحاربين إلى أوروبا ، يحملون صورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وساحة الإسلام، وقد عمد رجال الكنيسة إلى إخراس الألسنة المنصفة، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه: وانتقاصها . وقد استغل الاستشراق كراهية الأوربيين للإسلام بعد التوسع العثماني في أوروبا ، وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس الأوربيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل، بهدف حجب الإسلام عن أوروبا والحيلولة دون نفاذه إليها .

ثانيا : تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الإسلامية، بتأويل الجهاد، وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة، والعود عن الجهاد في سبيل الله، ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر، وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الإسلامية، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي، وإحلال الأنظمة القانونية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة .

ثالثا : فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي، والاجتماعي، والنفسي، والعقلي للمسلمين ، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلى الاستسلام أمام الاستعمار، وثقافته، وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين ، وزحزحة عقائدهم ، بما يفتح للتبشير المسيحي طريقا إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباع<sup>(١)</sup> .

والخلاصة : فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين، يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الإسلام، ونبيه ﷺ بأنواع شتى من الشعوذة باسم البحث والاستنتاج التحليلي .

تلاميذ المستشرقين :

وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم، والثقافة والفكر في العالم الإسلامي، وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الإسلام، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها، وترسيخها في الأذهان، وتوسيع دائرة الانتفاع بها .

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج

(١) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

المستشرقين، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم، وعن أهوائهم، وكثيرا ما يقول: إن هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين، أو فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق. وهذا أسلوب لا يقوم عليه إلا واحد من أهل التبعية، حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشرقا من أصل عربي، وقد كانت أمانته للفكر الغربي، ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعا لهم، مقتنعا بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم ببشرية الرسول، وبشرية القرآن، وكانت كتاباته توحى بذلك، وإن لم يعلنه جهارا، بعد أن صودر كتابه «في الشعر الجاهلي».

وأعجب ما في طه حسين ولاؤه الشديد لانطواء المسلمين تحت لواء الغرب، وانصهار الإسلام في بوتقة الأمية، والمسيحية واليهودية والغرب جميعا. فهو لا يرى للعرب والمسلمين سبيلا للنهضة إلا في هذا الانصهار، وهذا الاحتواء والذوبان، وقد صرح بذلك في كتبه وخاصة ما أورده في كتاب: «مستقبل الثقافة في مصر». فهو يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس.

ويظهر اتجاه طه حسين في حرصه على نشر الكتب التي تثير الشبهات، وفي مقدمتها «رسائل إخوان الصفاء» وتجديد طبع «ألف ليلة وليلة»، وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء في كتابه «حديث الأربعاء» وهو ثلاثة مجلدات. وقد خرج من دراستهم بشبهة مسمومة هي قوله: «إن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجنون»، وقد اعتمد في بحثه على مصادر أساتذته من المستشرقين اليهود، وعلى «أنساب الأشراف» الذي طبع في الجامعة العبرية في القدس - التي تحتلها إسرائيل - وجارى مستشرقى اليهود في إنكار شخصية عبد الله بن سبأ «ابن السوداء»، وفي الشك بوجود إبراهيم وإسماعيل، وأعلن أنه يشك في وجودهما بالرغم من الإشارة إليهما في التوراة والقرآن<sup>(١)</sup>.

(١) الإسلام في وجه التفریب ص ٣٦٣، وقد كان هذا الإنكار، وأمور أخرى سببا في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه «في الشعر الجاهلي» ولكن نفوذ الاحتلال الإنجليزي سرعان ما أعاده إلى الجامعة ومضى به صعودا لأعلى المناصب.

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين : سلامة موسى، وحسين فوزى، وزكى نجيب محمود، ومحمود عزمى، وعلى عبد الرازق وغيرهم، وقد لقحت مناهج المستشرقين في البحث، والنقد العلمى قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين، فنهجوا نهجهم، وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات، وخاصة في مجال الجامعة، والثقافة، والصحافة : وحملوا نفس الروح التى يحملها أساتذتهم في خصومة الإسلام، وكانوا أشد قسوة على أهلهم من الغربيين<sup>(١)</sup>.

### آثار الاستشراق :

١- كان الاستشراق وراء كل شبهة، أو دعوة خطيرة أحدثت تحولا في المجتمع الإسلامى فى العصر الحديث، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة، أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب و ( المفكرون ) الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية، والتغريب، والشعبوية. وهذا واضح فى الدعوة إلى العامية التى بدأها ولكوكس، وويلمور، وغيرهما، ثم تابعتها سلامة موسى، وأحمد لطفى السيد، فى الدعوة إلى الإقليميات، والقوميات الضيقة كالفينيقية، والفرعونية، بدأها فمبرى، وكرومز، وتابعتها طه حسين، ولطفى السيد، وغيرهما .

٢- يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرضونه، أو يقبلونه من النصوص، وكثيرا ما يحرفون النص تحريفا مقصودا، ويقعون فى سوء الفهم - وعن عمد أحيانا - فى معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف .

٣- يتحكم المستشرقون فى المصادر التى يختارونها، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث النبوى، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميرى فى كتابه ( الحيوان )، ويكذبون ما يرويه الإمام

(١) الإسلام فى وجه التغريب ص ٣٦٣ .

٤- يجمع المستشرقون الشبهات المختلفة، ويؤلفون بينها لإعطائها صورة كاملة، مثال ذلك : ما قام به المستشرق الألماني ولهم هور نباخ ( الأستاذ في جامعة بون بألمانيا ) من جمع قطع، وشفرة، وشذرات من كتاب (الإصابة) للحافظ ابن حجر، ثم ينشرها على أنها كتاب ( الردة ) لابن حجر الذي ألفه أبو زيد ابن الفرات المتوفى عام ٢٣٧ هـ وهو فارسي الأصل، وقد ضاع هذا الكتاب، فأشار ابن حجر إليه في بعض المواضع، فما كان من المستشرق ولهم إلا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الإسلام، ولا يقوم بمثل هذا العمل إلا مغرض صاحب هوى؛ لأنه يخالف البحث العلمي السليم.

وشبيه بهذا ما أورده المستشرقون من الزعم بأن العرب كانوا قبل البعثة النبوية على حضارة ونهضة ، وأن دور النبي ﷺ لم يزد على أنه نهض بهم فنهضوا ، مع أن الحقيقة الواضحة أن العرب في جاهليتهم كانوا قبائل متفرقة متصارعة ، وأن الإسلام هو الذي وحدهم في أمة واحدة ، ودفعهم إلى آفاق النهوض والتوسع :

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الأنفال : ٦٣ ] ، ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٥- وقد حرص المستشرقون على التنويه بشأن «القرامطة» وإظهارهم بمظهر طلاب العدل والإصلاح ، وهم الذين عجزوا عن أن يحققوا أى منهج يمكن أن يوصفوا به على أنهم دعاة حق حين امتلكوا زمام الحكم في القرن الرابع الهجرى ، بل انكشف باطلهم وزيفهم ، وظهرت حقيقتهم، صنائع لليهود انقضوا على الدولة الإسلامية بالتآمر والتعاون مع أعداء المسلمين وخصومهم .

٦- وعمل المستشرقون على إحياء التراث الباطنى المجوسى والغنوصى القديم

مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الإسلامي، ويبدو هذا واضحا في تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم، وخاصة ما يتصل بالاحاد والإباحية، وما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، والمجون، أمثال شعر بشار بن برد، وأبي نواس، وكتب الحلاج وابن عربي، وابن سبعين، وكتب غلاة الرافضة، والإسماعلية، والفاطميين .

٧- ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا، الذين يقعون دائما تحت سيطرة الاستشراق والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث .

وقد عملوا على نشر الموسوعات ( دوائر المعارف ) والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين، وملؤها بالسموم والشبهات مثل :

دائرة المعارف الإسلامية .

المتجدد في اللغة والعلوم والآداب .

الموسوعة العربية الميسرة .

ولهذا ينبغي على من يود الرجوع إلى هذه المصادر أن يكون على حذر تام، وأن يتنبه لما بين سطورها من مغالطات، أو تشويه، أو تحريف في النقل، على أن روح مؤلفيها في الحقد على الإسلام لا تخفى على المطالع الحصيف .

نماذج من أبحاث المستشرقين :

١- يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر ( وهما مستشرقان يهوديان ) في الغض من شأن الشريعة الإسلامية، ويحاول الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا

تختلف عن أعراف الجاهلية ، وهو ادعاء باطل تصدى له كثير من الباحثين .

ومن أكاذيب (شخت) وأضاليه : الادعاء بأن الفكر الإغريقي فضلا على الفكر الإسلامي ، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل ( سيديو ، درابر ، وسارطون ) وغيرهم أن الإسلام هو الذى أدخل إلى الغرب المنهج العلمى التجريبي ، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنهج الذى هو أساس الحضارة الإسلامية .

٢- أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيمالية اللاتينية التى تحمل اسم جابر بن حيان هى كتب عربية الأصل كتبها عالم مسلم ، لمجرد أن أصولها العربية فقدت ، وقد تصدى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأه ، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز ، وقال سارطون : إن أى شخص يعرف العربية لا يخطئ مطلقا فى اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية ، إذ تبدوا الأساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية ، سواء كانت لجابر أو لغيره .

٣- ويزعم سدرسكى أن جانبا مما ورد فى القرآن ، أو التفاسير والسير من الأخبار يرجع إلى الإجابة اليهودية ، والتوراة ، والأنجيل ، وقد بين الدكتور بشر فارس فساد هذا الرأى وقال : إن بين النصوص الإسلامية ، والنصوص اليهودية ، والمسيحية مسافات ، وإن اتفق بعضها أو تقارب .

٤- وحاول نلينو أن ينفى حقيقة أن قريشا كانت أفصح العرب ، وله فى ذلك مغالطات واسعة ترمى إلى التشكيك فى هذه الحقيقة ، ويقول : إن تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول .

٥- وزعم لويس شيخو اليسوعى أن معظم شعراء الجاهلية ، وصدر الإسلام كانوا نصارى ، وأن الغسانيين كانوا نصارى ، وهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب فى عهد الجاهلية ؛ لأن من الغسانية من كان على الوثنية ، ومنهم من

دان باليهودية ، وطائفة كانت تدين بالنصرانية ، ومن عددهم نصارى من الشعراء : الأخنس بن شهاب ، وامرؤ القيس ، وأمّية بن أبى الصلت ، والسموأل .

وهكذا جرت بحوث المستشرقين وراء الشبهات حول القرآن الكريم ولغته ، والحديث الشريف ، والتشريع الإسلامى ، ولا يتسع المقام للتوسع فى ضرب الأمثال <sup>(١)</sup> .

### المستشرقون المعتدلون :

لا نكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف ، على تفاوت فيما بينهم ، فمنهم من أخطأ وأصاب ، ومنهم من انتهى به البحث الحر النزىه إلى الإيمان والإسلام ، ويعتبر من الفريق الأول : (رينان) الذى انتهى به بحثه عن المسيح عليه السلام إلى إثبات أنه لم يكن إلهاً ، ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامى ، والروح الكريمة ، وأن السير العربية للنبي محمد - ﷺ - كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى .

ومنهم : (كارلايل) الذى عد (محمدأ) ﷺ فى الأبطال ، وخصه بصفحات كثيرة من كتابه (الأبطال) يقول فيه : «من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين : إن دين الإسلام كذب ، وأن محمدأ لم يكن على حق ، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التى أداها محمد ﷺ إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء .

ومنهم : (تولستوى) أكبر كتاب روسيا ، فإنه لما رأى الحملة الظالمة على

(١) راجع : (دفاع عن العقيدة والشريعة) للشيخ محمد الغزالي ، (الإسلام فى وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير) للأستاذ أنور الجندى .

الإسلام ورسوله كتب رأيه معربا عن الإعجاب بالإسلام ، وتحدث عن المسيحية ، فأنكر على المسيحين اعتقادهم بألوهية المسيح ، وخلص إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح في العقيدة غموضا ، ويقول : إن المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقد جميعهم بالوحي الإلهي ، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين ، وهم يعتقدون بأن محمداً خاتم الأنبياء ، وأنه أوضح في القرآن تعليم موسى وعيسى كما قالها دون زيادة ولا نقص .

ويتهى بالحديث عن رسول الله ﷺ حديث الإكبار والتعظيم ، وكان مما قاله تولستوى : « لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيثة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تخرج للسلام ، وتكف عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أولى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال » ، وقد كان جزاؤه على كلمة الحق التي قالها أن حرمه البابا من الرحمة <sup>(١)</sup> .

ومن المستشرقين الذين انتهى بهم البحث عن الحق إلى الإسلام اللورد هيدلى ، واتيبن دينيه ( ناصر الدين ) والشاعر الألماني الكبير جوته ، والدكتور جرينيه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي ، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال : « إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية : والصحية ، والطبيعية والتي درستها من صغرى ، وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت ؛ لأنى تيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، ومن قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة

(١) ( التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات ) للمستشار محمد عزت إسمايل الطهطاوى ص ٥٩ - ٦٢ .

بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا، لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض<sup>(١)</sup>.

وصدق الله العظيم ﴿سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣].

### ثالثا : التبشير

أيقن أعداء الإسلام أنه لا سبيل إليه، وعقيدته حية في قلوب المسلمين، فكان بداية التبشير مع نهاية الحروب الصليبية فشلا في مهمتها، وهو ما يصرح به « ملخص تاريخ التبشير »<sup>(٢)</sup>.

ويقول القسيس المبشر زويمر : إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تنزل نذير خطر للمسحية<sup>(٣)</sup>، ويكمل وليم جيفورد بالكرف المعنى فيقول : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه<sup>(٤)</sup>.

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة ، أظهرها لنا :

أ-المدارس المختلفة التي فتحت في أرجاء العالم الإسلامي ، ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة الإسلامية نفسها<sup>(٥)</sup> وبأشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البرئية

(١) المرجع السابق ص ٦٧ و (أوروبا والإسلام) للدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) كتاب ملخص التبشير لأدوين بلس ، أشار إليه أ . ل شاتليه .

نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب وساعد اليافى تحت عنوان : الغارة على العالم الإسلامي .

(٣) قالها زويمر في مؤتمر لكتنو بالهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) وكان هو رئيس المؤتمر لماله في التبشير من سجل حافل - المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٤) قالها وليم جيفورد في مؤتمر القاهرة للتبشير المنعقدة سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠١ م ، في منزل أحمد عرابي الذي صدره الإنجليز بعد ثورته . .

(٥) في مؤتمر لكتنو للتبشير الذي تقدمت الإشارة إليه قدم القسيس ترد بريدج تقريرا عن نشاط التبشير وخص فيه دولة الخلافة العثمانية بنصيب أوفر فقال :

والشيبية الغضة من أبناء المسلمين ، وكانت لها نتائج إيجابية محدودة ، لكنها إن لم تمح في المجموع عقائد التلاميذ ، فيكفي أنها بذرت فيها بذور الشك أو الانحراف<sup>(١)</sup> . ولا تزال من آثار تلك المدارس : الجامعة الأمريكية في مصر ، والجامعة الأمريكية في بيروت ، الأمر الذي لا ينكره رجال الغرب أنفسهم .

ويلحق بهذه الوسيلة تغريب التعليم أو علمانيته ، وهو ما فعلته انجلترا في مصر والهند ، وما سوف نعرض له بمشئة الله عند الكلام عن وسائل التبشير الحديثة .

ب- ومن أخطر هذه الوسائل البعثات إلى الدول المسيحية الغربية ، وأول مثل لأثر البعثات : ما حدث لرفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس من سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٦ م ) إلى سنة ١٢٤٧ هـ ( ١٨٣١ م ) ، فقد عاد ذلك الشيخ بغير العقل الذي ذهب به .

اختلت موازين الشيخ ، فعاد يتحدث عن الرقص الذي رآه في باريس بأنه نوع من العياقة والشلبنة ( أى الأناقة والفتوة ) لا الفسق ، الرقص وتلاصق الأجساد ليس فسقا !!

---

= عن الأعمال المدرسية : إن في استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية الإنجليزية في بيروت ( الجامعة الأمريكية ، وكانت تسمى الكلية السورية الإنجيلية ) ١٠٤ من المسلمين ، وفي كلية الأستانة ( واحسراته ) ٥٠ وفي كلية المبشرين في كدك باشا في الأستانة أيضا ٨٠ ، ومنذ بضع سنين صدر إذن خفى !! بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية وعن التأليف قال : كان طبع كتب التبشير مباحا في تركيا منذ مدة طويلة (!!) ثم أشار إلى صعوبات التوزيع . وعن الأعمال الطيبة والخيرية قال : إنها منتشرة جدا في البلاد العثمانية .

وعن الأعمال النسائية قال : إن الحكومة سمحت ( ... ) عقب إعلان القانون الأساسي الخمس فتيات مسلمات أن يتعلمن في كلية البنات الأمريكية لتهيأ لإدارة الأمور في مدارس الحكومة للبنات ، كما أن عددا قليلا من الفتيات المسلمات يتردد على مدارس إرساليات التبشير .

(١) في نفس المؤتمر قال استررد كروفورد : أن المسلمين يقبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الإجتماعي ، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل ، فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها عن غير قصد منها ، ثم ختم تقريره بقوله : لقد أرف الوقت لارتقاء العالم الإسلامي وسيدخل الإسلام في شكل جديد من الحياة والعقيدة ، ولكن هذا الإسلام الجديد سينزوي ويتلاشى بالنصرانية (ص ٧٢ ، ٧٣ من المرجع السابق) .

ورسول الله ﷺ يقول : « لكل بنى آدم حظ من الزنا : فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشى ، والفم يزنى وزناه القبل ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه »<sup>(١)</sup> صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكذب الشيخ الطهطاوى .

وتحدث عن المشاعر الوطنية ليحلها محل المشاعر الدينية وراح يثير الجاهلية القديمة، فيتحدث عن مصر الفرعونية ، وينسى مصر الإسلامية وأعجب الطهطاوى بالحرية لكنه لم يفهمها الفهم الإسلامى الذى تتحقق به عبودية المسلم لله وحده ، ويتحقق تحرره من كل عبودية لسوى الله ، لكنه فهمها الفهم الغربى الذى قد يؤدى إلى التحرر من الأخلاق ومن الدين نفسه!.

وقس على الشيخ رفاعة<sup>(٢)</sup> من ذهبوا بعده .

جـ - ثم تأتى سائر وسائل التبشير، فتح المستشفيات ، وبعث الإرساليات الطبية ، التى يقرر كثير من المبشرين فى مؤتمراتهم وكتاباتهم أنها أدت إلى نتائج أسرع وأفضل من عمل القسس التبشيرية<sup>(٣)</sup> .

د- ثم المحاضرات والندوات ، والكتب والمجلات والصحف والنشرات .. إلخ .

(١) مسند أحمد ٢ ص ٣٤٣ ، وسنده صحيح ، وله روايات أخرى كثيرة بألفاظ مختلفة ، والمعنى واحد .  
(٢) راجع تحليلاً رائعاً للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ( أستاذ الأدب الحديث بجامعة الإسكندرية ) فى كتابه : الإسلام والحضارة الغربية ، نشر دار الفتح ط ٢ / ١٣٩٣ هـ . والكتاب عبارة عن محاضرتين ألقاهما بالكويت سنة ١٣٨٥ هـ وهو يتناول أثر التغريب ، وله فى نفس الخط مؤلف آخر تحت عنوان « حصوننا مهددة من الداخل » - مجموعة مقالات نشرها فى مجلة الأزهر .  
(٣) يقول الطبيب بول هاريسون فى كتابه ( الطبيب فى بلاد العرب ) : لقد وجدنا فى بلاد العرب لنجعل رجاها ونساءها نصارى - إبراهيم خليل أحمد - المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى من مكتبة الوعى العربى بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » أن الأفغانيين الذين خلعوا ملكهم أمان الله خان أنه سمح لزوجته أن تخرج سافرة ، قبلوا بعد ذلك أن يلغوا الحجاب وتم ذلك عن طريق القابلات ودور الولادة الطبية التى أنشأها المبشرون .

## مؤتمرات التبشير :

أما مؤتمرات التبشير فقد تعددت، نذكر منها :

- ١- مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) المنعقد في منزل زعيم الثورة العربية المسلم في باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها !
- ٢- مؤتمر أدنبرج سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) في إنجلترا .
- ٣- مؤتمر لكنؤ سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) بالهند .
- ٤- مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) .
- ٥- مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .
- ٦- مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

وما بلغنا عنها إلا القليل ، وأشهره ما نشرته مجلة : ( العالم الإسلامي ) .  
ولا نعتقد أن ما نشر هو كل ما قيل وحدث .

ومع ذلك ، فإننا نشير إلى نماذج من المؤتمرين الأول والثالث تبعاً لما بلغنا عنهما .

في مؤتمر القاهرة - المنعقد في بيت الزعيم المصري المسلم أحمد عرابي :

تناول المؤتمر وسائل تبشير المسلمين بالنصرانية في كتاب خاص كتب عليه :  
نشرة خاصة ؛ ليكون قاصراً على فئة من المبشرين - وهو من إعداد القسيس  
الأمريكي فليمنج .

ثم تعرض المؤتمر للأزهر : فنعى أن باب التعليم مفتوح للجميع ، خصوصاً ،  
وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً<sup>(١)</sup> .

وطالب سكرتير المؤتمر في مواجهة ذلك بإنشاء معهد مسيحي لتنصير الممالك

(١) صادرتها الحكومة الثورية في مصر في عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر .

الإسلامية<sup>(١)</sup> ( قيل: إن أساس تكوين الجامعة الأمريكية في مصر كان تنفيذًا لتلك الوصية).

ثم عرض المؤتمر لخريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر .

وقدم القسيس زويمر «رئيس المؤتمر» بمعاونة بعض زملائه كتابًا تحت عنوان العالم الإسلامي اليوم، أشار إلى صلابة عقيدة المسلمين ( وهو ما يقتضى الاستناد في حربها )، وقال ما نصه: «لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذى اقتحم قارتى آسيا، وإفريقيا، وبث في مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية» .

ثم قدم القسيس زويمر بعض النصائح من بينها:

أ- وجوب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداءهم .

ب- وأخطرها: يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

وأخيرا، بشر المبشرين ألا يقنطوا، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى تحرير النساء<sup>(٢)</sup>.

وفي مؤتمر لكنؤ المنعقد في الهند سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) .

كانت مواد كثيرة أخطرها:

\*النظر في حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين

تنصير المسلمين .

(١) جاء في مجلة المجتمع، جمادى الآخر سنة ١٣٩٧ هـ أن البابا شنودة قد اتفق مع الرئيس الأمريكى كارتر على إنشاء جامعة نصرانية في مصر، وأن الرئيس كارتر في اجتماعه مع الرئيس السادات طلب منه ذلك، فوافق الأخير بشرط أن يكون تمويل الجامعة من الخارج.

(٢) الغارة على العالم الإسلامى - المرجع السابق ص ٢٤ و ص ٣٢.

\*الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات ( يلاحظ اختيار الألفاظ المهذبة لتغطية المعنى المقصود ، فإن المبشرين المسيحيين لا يهتمهم فى شىء ارتقاء النساء المسلمات).

وكان أخطرها حديث .. حديث زويمر أشار إلى أن عبد الحميد ( خليفة المسلمين ) سجين فى سلاتيك ، أشار إلى أنه لم يبق غير ٢٧.١٢٨.٨٠٠ مسلماً تحت سلطة الحكومات الإسلامية ، وانتقلت السلطة على الباقين من الخلافة الإسلامية إلى أيدي كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا . أشار إلى أن عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيراً عقب انقلابات قريبة الحصول ؟ وكان من بين قرارات المؤتمر :

«من الضروري العاجل تأسيس مدرسة فى مصر خاصة بالتبشير» .

«دخول النساء فى أعمال التبشير لتنصير النساء المسلمات وأولادهن»<sup>(١)</sup> .

وهم الآن لا يدعون المسلمين إلى المسيحية بل يحاولون تشويه الإسلام وإضعاف قيمه<sup>(٢)</sup> .

### رابعا : تقطيع أوصال دولة الخلافة

برغم كل ما أحدثه التبشير من تخريب ، لم يتخل الغرب المسيحى عن العنف تأييدا لهذا التخريب العقلى والقلبى بالسند العسكرى والسياسى ، وإسهاما بهذه

(١) ص ٦١ - ٨٣ من المرجع السابق : الغارة على العالم الإسلامى .

(٢) فى مؤتمر القدس قال زويمر كلاما خطيرا إذ رسم خط التبشير بعد ذلك : ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية فإن هذا هداية فهم وتكريم (!) وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وفى نهاية كلمته قال : إنكم أعددتهم نشءا فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامى طبقا لما أرادته له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظام ، ويجب الراحة والكسل ، ولا يعرف هم من دنياه إلا فى الشهورات .

الوسيلة في تحقيق نفس الغاية .

وانفقت الدولتان العظيمنتان في ذلك الحين على تقطيع أوصال دولة الخلافة ،  
وتوزيع الأسلاب بينهما .

ففى منتصف القرن التاسع عشر سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ، ثم استيلاء  
إنجلترا على الهند ، وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية إلى التاج البريطانى ،  
وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن  
السادس عشر ( دولة المغول فى الهند ، أو الدولة التيمورية نسبة إلى مؤسسها  
تيمورلنك ) .

وفى نفس السنة ، كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء الإسلام  
الغربية التى بدأت باحتلال الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) .

وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع إنجلترا الدرّة من دور الخلافة ، كان احتلال مصر  
المسلمة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) .

ثم كان اقتطاع سورية ولبنان واحتلال فرنسا لهما بعد الحرب العالمية الأولى  
سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ، ومع بوارج القتال كانت بارجة تحمل « مومسات » ،  
ولما سئل القائد فى دهشه أجابه العالم ببواطن الأمور : إن تلك البوارج قد يزول  
أثرها ، أما هذه البارجة فإن أثرها لن يزول . وقبل ذلك كانت جيوش إيطاليا تخترق  
البحر تجاه أراضي ليبيا ترافع نشيدا فاشستيا مجرما يندد بالقرآن ، ويهزأ بالإسلام ،  
ويتوعد أمته بالسحق والفناء ، جاء فيه : يا أماه ، أتمى صلاتك ولا تبكى ، بل  
اضحكى وتأملى ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا  
مسروا ، لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلامية التى تميز

البنات الأبيكار للسلطان ، سأقاتل بكل قوتي لأخو القرآن»<sup>(١)</sup> .

وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من كيف يوقف الغرب زحف دولة الإسلام إلى داخله ، إلى كيف يقطع الغرب أوصال دولة الخلافة الإسلامية يوزعها فيما بينه ، ثم يجهز على الرجل المريض .

وتأتى بعد ذلك - واستكمالا للمخطط الأثيم - القضاء على الخلافة نفسها ، وقد نفذوا فيها توصية أحد مؤتمراتهم ألا يقطع الشجرة إلا أحد أعضائها ، لكن القضاء على الخلافة سبقته بعض الخطوات ، أهمها فصل الدين عن الدولة ، وهو موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل .

(١) وقد جاء ذلك النشيد في نداء لمجاهد طرابلسي ، وجهه إلى المسلمين ، نشرته مجلة الرابطة الشرقية ، السنة الثالثة - العدد الثاني ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٩ / ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

## المبحث الثاني

### مرحلة إسقاط الخلافة الإسلامية

لا بد أن تسقط الخلافة الإسلامية قبل أن تقوم «دولة إسرائيل» .

ذلك ما تنبأ به نيلوس بعد أن اطلع على برتوكولات حكماء صهيون ، وذلك منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١م)<sup>(١)</sup> ، وذلك يؤكد طلب قرصو زعيم اليهود في سالونيك إلى السلطان عبد الحميد إعطاء فلسطين لهم ليتخذوها وطنا قوميا ، فلما رفض الخليفة توعدته الزعيم اليهودي<sup>(٢)</sup> ، وكان من بين من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود<sup>(٣)</sup> .

ولا بد أن يقطع الشجرة أحد أعضائها كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات التبشير ، لكن قبل أن تقطع الشجرة التي أظلت بلاد الإسلام منذ عهد النبوة ، وقبل أن يقضى على البطل الإسلامي السلطان عبد الحميد ، كان ثمة تمهيد ، كان بث فكرة فصل الدين عن الدولة .

#### أولا : فصل الدين عن الدولة :

أشار الكاتب الأمريكي وليام غاي كار<sup>(٤)</sup> إلى أن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت من عمل اليهود ، وبصرف النظر عما قاله وليام غاي كار ، فإن الواضح في الشرق الإسلامي أن الفكرة كانت غريبة عنه ، ومن ثم فإن الأيدي الأجنبية كانت

(١) الخطر اليهودي .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) د . علي جريشة في المشروعية الإسلامية العليا ص ٢٣١ .

(٤) في كتابه : أحجار على رقعة الشطرنج .

وراءها ، سواء كانت أيدي الصليبية المتعصبة أو اليهودية الحاقدة ، ذلك أن فقهاء الإسلامى ومن بعده فكرنا الإسلامى ، لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها ، بل إنه على العكس من ذلك يعرف أن قرآنه يحرم تجزئة الكتاب ، ويعتبر ذلك كفرا ، وفتنة ، وجاهلية .

ويعرف أن الوظيفة الأولى لهذا القرآن أن يحكم ، لا أن يوضع على الأرفف والمناضد أو تحشى به الجيوب والتهائم ، أو تغنى به وتتسلى بعض العمائم .

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الأعراف: ٢].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجنات: ١٨].

﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شُرْعَةً وَمِنهَا حَاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿ وَأِنِ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

فالإسلام دين يحكم كل شىء

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

والدولة فيه قسم لا قسيم .

فكما ينظم شؤون الفرد وينظم شؤون الأسرة ، ينظم شؤون الدولة ، وينظم شؤون المجتمع الدولى : . ذلك فقه الإسلام وفكره ، الدولة جزء من الدين ، قسم له لا قسيم .

تاريخ الإسلام لم يعرف هذه التفرقة :

وليس فى أحداثه ما يبررها

فلئن عرفها الغرب كرد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء وافتئاتها على عقائد الناس، وعقولهم حتى سولت لنفسها أن تصدر صكوك الغفران، وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم ، إذا كان ذلك فإن شرقنا الإسلامى لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء ، بل حفظ لهم الإسلام، وحفظت لهم أمته أكرم مكانة وأعز منزلة ، وكيف لا .. ؟ وهم ورثة محمد ﷺ على دينه وشرعه وميراثه ؟ .

ومن ثم فلم يكن هناك محل - لا من الناحية الفكرية ، ولا من الناحية التاريخية - لبيت فكرة فصل الدين عن الدولة .

لكن الأمر كان يدبر بليل .

واعتنق حزب الاتحاد والترقى فى تركيا الفكرة وعمل على ترويجها .

ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل عبد الحميد ، ذلك الخليفة الذى رفض أن يعطى فلسطين وطنا لليهود وبصق فى وجه زعيمهم قرصو .

وصارت الحكومة المدنية فى أنقرة هى التى تحكم، والخليفة فى الأستانة بغير سلطان، تطبيقا لفصل الدين عن الدولة .

ثانيا : نشر القومية فى مواجهة الخلافة :

كانت اليد الخفية التى تعمل على تقويض الخلافة - بيت فكرة فصل الدين عن

الدولة- تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية .

إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة ( تركيا ) .

وإثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة .

والأولى تعهدتها حزب الاتحاد والترقي، وحزب تركيا الفتاة .

والثانية انزلق إليها الشريف حسين ، ظنا منه أنها الوجه الآخر للإسلام<sup>(١)</sup> .

واعتقاداً منه في حسن نوايا الجاسوس ( لورانس ) ومن ورائه ماكماهون حتى انتهى الأمر إلى أن تحارب جيوش القومية العربية جيوش الخلافة الإسلامية ، تعضدها الجيوش الإنجليزية التي سارت تحت راية فيصل بن الشريف حسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال الفاتحين .

ثالثاً : إسقاط الخلافة الإسلامية :

ولم يكن عبثاً ..

ولم يكن تدبير مصطفى كمال أتاتورك ولا حزب الاتحاد والترقي .

وما كان هؤلاء إلا « النعل : الذي تلبسه القدم الغليظة الكارهة الكريهة !

وإلا فقيم توقع نيلوس منذ ١٣١٩ هـ ( ١٩٠١ م ) .. ؟

وفيم قول مؤتمر التبشير : إن الشجرة لا بد أن يقطعها أحد أعضائها ؟

(١) بدأت الدعوة إلى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتألفت في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢ هـ ، ١٨٧٥ م راجع تفصيلاً لذلك بحثاً طيباً عن عوامل ضعف المسلمين للأستاذ سميح عاطف الزين - دار الكتاب اللبناني .

ونحن نحسن الظن بالشريف حسين على ما يبدو من رسائله المتبادلة بينه وبين الإنجليز لكن يبقى حسابه على الله في ظل قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [النحل: ٨٩] وكيف نسي الشريف ما فعلته إنجلترا بالمسلمين، تعست كراسى الحكم التي تنسى المسلم دينه، وشرفه، وكرامته .

وفيم تهديد الزعيم اليهودي قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن رفض إعطاء فلسطين لليهود ..؟

فيم ذلك كله .. وفيم قبله فكرة فصل الدين عن الدولة، ومصدرها المباشر الصليبية ومصدرها غير المباشر الصهيونية ، كما يقرر وليام غاي كار .. ؟  
وفيم قبله نشر القومية العربية على يد لورانس الجاسوس الإنجليزي ..  
ومن جرهم من أذقناهم وراء قدمه ؟

وفيم شروط كيرزون الأربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكلميين وهي :

١-قطع كل صلة بالإسلام .

٢-إلغاء الخلافة .

٣-إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

٤- اتخاذ دستور علماني بدلا من الدستور القديم<sup>(١)</sup> .

فيم ذلك كله .. ؟

وإذا صح أن الخلافة كانت أشبه بالرجل المريض - وهم أول من أمرضوها -  
فهل يصح المريض بالعلاج ؟ ..

أم يعالج المريض بالقضاء عليه وقتله؟

ماذا فعلوا بعد أن أجهزوا على الرجل المريض بخسة ونذالة هل استبدلوا نظاما  
خيرا منه ؟ ..

(١) يشير إليها الزميل الدكتور عبد المعطى بيومى نقلا عن الأستاذ أنور الجندي في كتابه : العلم الإسلامي - الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٤٦ ، ٤٧ .

ويؤكد النية إزاء الخلافة الإسلامية، والقصد من وراء إسقاطها ما جاء في كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا، تأليف المسيو جوفار الأمانى - ملخصا في كتاب حاضر العالم الإسلامي - المرجع السابق - وأقوال، رجال الدين في أوروبا، وكتابهم ، وساستهم مجمعة على وجوب القضاء على الخلافة الإسلامية وتقسيم التركة بين ملوك أوروبا .

وهل صاروا في مصاف الدول العظمى ، بعد أن انسلخوا من إسلامهم .  
إن تركيا ، وبعد مرور نصف قرن من إلغاء الخلافة فيها ، لا توضع في الدرجة  
الثانية ولا الثالثة ، ولا الرابعة بين دول العالم ، وكانت قبلها في الدرجة الأولى ! .

أهذا هو الترقى ، يا حزب الترقى ؟

ولقد سبقت إلغاء الخلافة تمثيلية لا يزال يتكرر مثلها في السنوات القريبة ، كان  
لابد من صنع البطل ( الذى يقطع الشجرة )<sup>(٢)</sup> .

وبعد أن تغلغلت قوات اليونان والحلفاء داخل أراضي تركيا .

وبينما الخليفة حبيس الأستانة ، بل وجيوش إنجلترا ، وتبديل الهزيمة نصرا  
وينخدع العالم الإسلامى المسكين «بالغازى العظيم» .

ثم يعلن بعدها إلغاء الخلافة الإسلامية .

ويعقبها سلسلة من الإجراءات تنتهى إلى سلخ تركيا من إسلامها ، وتحريم  
الأذان فيها ، وتحريم الكتابة بلغة القرآن العظيم !

ويقبل العالم الإسلامى على المصيبة !

ولكن ولات حين مناص ! فقد فات الأوان !

ويندب العالم الإسلامى خلافته وإسلامه :

يقول الشاعر أحمد شوقى :

هوت الخلافة عنك والإسلام  
طويت وعم العالمين ظلام  
يسعى ولا الجمع الحسان تقام

يا أخت أندلس عليك سلام  
طوى الهلال عن السماء فليتها  
خفت الأذان فما عليك موحد

(٢) راجع تحت عنوان : صناعة الزعيم ، فى كتاب «عندما يحكم الطغاة» للدكتور جريشة ، الناشر دار  
الاعتصام - مصر .

ويقول في أبيات من قصيدة أخرى :

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث  
أفتى خزعبلة وقال ضلالة  
ضجت عليك مآذن ومنابر  
الهند والهة ومصر حزينة  
والشام تسأل والعراق وفارس  
حسب أتى طول الليالي دونه  
وعلاقة فصمت عرى أسبابها  
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم

\*\*\*

استغفر الخلاق لست بجاحد  
أقول من أحيى الجماعة ملحد؟  
من كنت أدفع دونه والأحى  
وأقول من رد الحقوق إباحى

\*\*\*

فلتسمعن بكل أرض داعيا  
ولتشهدن بكل أرض فتننة  
يفتى على ذهب المعز وسيفه  
يدعو إلى الكذاب أو لسجاح  
فيها يباع الدين بيع سماح  
وهوى النفس وحقد الملاح

## المبحث الثالث

### مرحلة ما بعد إسقاط الخلافة الإسلامية

بات معلوما أن العالم الإسلامي بعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الإسلامي، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق إن لم تنجح في تنصير المسلمين بما يكافئ الجهود والأموال المبذولة، فإنها أفلحت في بث الشكوك والوهن في عقائد المسلمين وأفكارهم .

بات معلوما أن العالم الإسلامي صار كجسد مثخن بالجراح ، استرخى ، حتى يمن الله عليه بالعافية أو يتحقق أمل بعيد للصهيونية أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ومن ثم كان يكفى ما حدث ..

لكن الصليبيين ومن وراءهم -وعوا الدرس ، وهو ما صرح به (جب) من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة ..

ونخشي أعداء الإسلام هذه الصحوة !

فاتخذوا من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الممزق هامدا ، مشخنا بالجراح ، وكان لهم في ذلك أكثر من سبيل ، أهمها :

التغيير السياسى، والاجتماعى فى العالم الإسلامى ، ولنعط كلا كلمة ، بما يسمح به المقام .

## الفصل الثانى

### التغيير السياسى والاجتماعى فى المنطقة الإسلامية

#### المبحث الأول

#### التغيير السياسى

منذ أتيح للغرب الصليبي أن يتسلط على الشرق الإسلامى ، أخذ يحدث التغيير السياسى اللازم ، لبقاء سيطرته أولاً، ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانياً فكان :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠ م .

وتونس سنة ١٢٩٩هـ - ١٨٨١ م .

ومراكش سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢ م .

وللشام سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠ م .

وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧ م للهند إيذاناً بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر .

واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢ م .

والعراق سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤ م .

وفلسطين سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٨ م .

ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة ، فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤ م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامى .

وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية فى تركيا، والقومية العربية فى البلاد العربية ، حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم

## القومية والتحرير !!

وقد صحب ذلك دعوة خبيثة إلى العلمانية ،بمعنى فصل الدين عن الدولة ،  
تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف من أمثال حزب الاتحاد والترقى  
في تركيا الذى كانت من قياداته قيادات يهودية من يهود الدونمة .

وتبع ذلك ..

ما رسم له أعداء الإسلام من قبل ،يجن عقدوا أكثر من مؤتمر للنظر فى المسألة  
الشرقية ، وقد كانت فى البداية تعنى رد الزحف الإسلامى الذى كانت تقوده تركيا  
على أوروبا ، ثم لما توقف المد انتقل البحث إلى كيفية تقطيع أوصال الخلافة ، ثم  
القضاء على الخلافة بعد ذلك .

ومهما يكن من أمر الأخطاء التى وقع فيها سلاطين تركيا ، وفى مقدمتها أنها  
جعلت عضلاتها أقوى من عقلها ، ومهما يكن من أمر المظالم التى ارتكبتها سلاطين  
تركيا ، وفى مقدمتها التفرقة الظالمة بين بنى الدين الواحد ، وتميز الأتراك على غيرهم  
من بنى الأوطان الأخرى .

مهما يكن من هذه وتلك - مما نسجله ونحذر منه - فلقد كانت الخلافة تظل  
المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدو الله وعدوهم .

من أجل ذلك لم يكتف أعداء الإسلام بتقطيع أوصال دولة الخلافة ، بل  
جاوزوا ذلك إلى القضاء على الخلافة نفسها ، ومنع قيامها بعد ذلك فى أى قطر أو  
أى وطن آخر!

وسواء كان ما ارتكبه مصطفى كمال - الشهير بأتاتورك - كان بحسن نية ، كرد  
فعل لأحداث ذلك الحين التى خطط لها أعداء الإسلام بما يدفع أتاتورك إلى إلغاء  
الخلافة ، أو كان بسوء نية أو استجابة للتخطيط اليهودى - الصليبي ، الذى تبدى  
فيما ذكره كاتب روسى سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م بعدما طالع بروتوكولات حكماء  
صهيون ، من أنه لابد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية لتصل إلى

فلسطين<sup>(١)</sup>، وما أعقب ذلك من محاولة زعيم يهودى رشوة السلطان عبد الحميد لمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود، وبصق الخليفة المسلم في وجهه، ثم توعد اليهود للخليفة، وخلع الخليفة بعد ذلك بقرار حملة ثلاثة، اثنان منهم من اليهود، ثم ما أعقب ذلك من إعلان وعد بلفور سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م من جانب وزير الخارجية البريطانية بمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود، وما تم من هجرة لليهود في ظل ذلك الانتداب البريطانى، وانسحاب بريطانيا سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م من فلسطين ليتمكن منها اليهود بعد ذلك، واتفاق المعسكرين الشيوعى، والرأسمالى على الاعتراف بإسرائيل وتدعيمها، الأمر الذى لا يزال حتى اليوم باديا، فروسيا تمد إسرائيل بالقوة البشرية والقوة العقلية، وأمريكا تمدها بالقوة العسكرية، والقوة التكنولوجية.

كل ذلك أو بعضه قد يثير أو يشير إلى أن خطوة أتاتورك بإلغاء الخلافة لم تكن عن حسن نية ابتغاء المصلحة الوطنية لتركيا - خاصة إذا أضيف إليها ما قيل عن شروط كيرزون لمنح تركيا الاستقلال، ومن بينها إلغاء الخلافة الإسلامية.

نقول: سواء كانت جريمة أتاتورك بحسن نية، أو بسوء نية، فلقد حققت لأعداء الإسلام ما ييغونه بنقض عرى الإسلام، أولها الحكم، وآخرها الصلاة.

وكان المفروض أن تقف الحملة الضارية على الإسلام والمسلمين عند حد تقطيع دولة الخلافة والقضاء عليها، لكن الصليبيين وعوا من الإسلام درسا هاما عن الإسلام والمسلمين، وهو ما صرح به أحدهم من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة، وما صرح به بعضهم من أن المسلمين أشد خطورة عليهم من اليهود والبلاشفة والشعوب الصفراء<sup>(٢)</sup>.

(١) هو الكاتب الروسى، سرجى نيلوس، راجع: الخطر اليهودى لمحمد خليفة.  
(٢) كتبت إحدى المجلات الأمريكية تحت عنوان: (محمد يتهدد للعودة) المسلمون رقدوا ٥٠٠ سنة ويتحركون الآن ويتوثبون للسلطان.

ومن هذه التصريحات ما قاله لورانس براون: كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى، والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي، إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب الثانية، أما الصفرة (اليابان والصين) فإن هناك دولا ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها لكن الخطر الحقيقى: كان فى =

ويغض النظر عن مدى صحة ما قرره أولئك ، من خطر الإسلام والمسلمين عليهم ، فإن هذا هو الذي شكل تفكيرهم ، وكان الباعث وراء تصرفاتهم بعد ذلك .

## الأسلوب الجديد :

وفي منتصف القرن العشرين ، في الخمسينيات على وجه التحديد قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن ترث النفوذين البريطانى والفرنسى في المنطقة لتحقيق نفس الأهداف التي كان يحققها هذان النفوذان<sup>(١)</sup> .

لكن ، إن اتفقت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا في الاستراتيجية والأهداف ، فلقد اختلفت معها في التكتيك والأسلوب ، ومارست الولايات المتحدة في مهارة ما يسمى بلعبة الأمم تحقيقاً لأهدافها ، وكان أهم أساليبها في ذلك الانقلابات العسكرية التي تصنع عن طريقها البطل أو الزعيم الذي تتعلق به آمال الأمة ، فيمتص بذلك ما يثور في باطنها . وما كان يمكن أن يؤدي إلى ثورة في غير صالحها وينحرف بهذه القوة الماردة داخل الشعوب عن أهدافها التي تتحقق فيها مصالح الغرب<sup>(٢)</sup> .

---

= المسلمون وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع ، وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمتلكونها .  
وفي كلمة لمسؤول فرنسي سنة - ١٣٧١ هـ ( ١٩٥٢ م ) : ليست الشيوعية خطراً على أوروبا - فيما يبدو لي - إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عتياً هو الخطر الإسلامي ، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد جديدة دون حاجتهم إلى الاستغراب ، وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب . راجع :

- لم هذا الرعب كله من الإسلام الأستاذ جودت سعيد .

- الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي الأستاذ ماجد الكيلاني .

- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين .

(١) مايلز كوبلاند - لعبة الأمم - ص ٣٣ تعريب مراد سرخيس التوزيع : دار الفتح للطباعة والنشر . وقد أشار إلى اتصال السكرتير الأول للسفارة البريطانية في واشنطن اسميثل ( بمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى - وإفريقيا ليسلمه رسالة تشير إلى اعتراف بريطانيا إلى إنهاء وصايتها على بعض أرجاء العالم لأزمة مالية تمر بها ، فإنها لن تتمكن من القيام بأعباء مقاومة الشيوعية في كل من تركيا واليونان .

(٢) يشير مايلز كوبلاند - مندوب المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط في كتابه لعبة الأمم - إلى هذه الحقائق حين يقرر :

أ- لقد كان من المفهوم في التقارير والوثائق السرية للحكومة الأمريكية في أوائل عام (١٩٤٧م ١٣٦٦هـ) أن دبلوماسيتنا وأجهزة مخابراتنا بالحالة التي كانت عليها في ذلك الوقت يجب أن تعمل لإحداث تغييرات في قيادات بعض دول الشرق الأوسط .

## القوة العسكرية المحلية تقوم بالدور الجديد :

لم تعد الشعوب تحتل أن ترى السترة الصفراء الأجنبية تحكمها مهما حاولت أن تدعى الصداقة أو حتى أن ترفع راية الإسلام<sup>(١)</sup>.

وكان لابد من أن ترحل السترة الصفراء الأجنبية ، لكن الباطل لا يستغنى عن القوة، وإلا تهاوى وسقط ! ومن ثم كان لابد من أن يبحث عن مصدر آخر للقوة ، حتى يمضى في تنفيذ مخططه الأثيم لإبعاد شعوب الإسلام عن الإسلام ، وهده شيطانه إلى ما نجح فيه إلى حد ما ..

فاستبدل بالسترة الصفراء الأجنبية ، السترة الصفراء المحلية .

وشرح بعض كتابه : أن هؤلاء أقدر على التغيير الاجتماعي المطلوب<sup>(٢)</sup> ، وعرفت المنطقة الانقلابات العسكرية<sup>(٣)</sup> بديلا عن جيوش الاحتلال الأجنبية، ومن

---

= ويشير المؤلف في الفصل الثاني من كتابه إلى حضور السفير البريطاني إلى وزارة الخارجية الأمريكية بإبلاغها بقرار الحكومة البريطانية وقف مساعدتها لحكم متى تركيا واليونان ، ويفسر ذلك بأن معناه انسحاب بريطانيا من الشرق الأوسط وضرورة حلول أمريكا محلها في المنطقة لملاء الفراغ .

ب- على العموم ، فإن ما كنا نحاوله هو ملء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من اليونان وتركيا - هذا الفراغ الذي يشمل كما قلنا من قبل جميع منطقة الشرق الأوسط ص ٢٨ ، ثم يشير المؤلف إلى قرار وزير الخارجية الأمريكية دين أتشيسون بالتدخل ولو بالأساليب غير النزيهة .

ج - ونتيجة لذلك فإنه في نهاية ١٩٥١ م قرر تشكيل لجنة خبراء سرية لدراسة العالم العربي فيما يتعلق على الخصوص بالنزاع العربي الإسرائيلي لاستعراض المشاكل واقتراح الحلول ، سواء كانت تتفق مع أساليب العمل الحكومي التنظيف أم لا ص ٤٨ .

ويشير بعد ذلك إلى تدخلهم في انقلاب حسنى الزعيم (ص ٤٢) في سوريا والدروس التي استفادوها منها ، ثم استعدادهم للعملية الكبرى في مصر .

د- كان روزفلت غير واثق من الانقلابات العسكرية بعد أن رأى ما أدت إليه في سوريا من فوضى ولكنه وافق على أن يقابل الضباط الذين قدمتهم له المخابرات المركزية الأمريكية ، على أنهم زعماء التنظيم السرى العسكرى الذى يدبر انقلابا عسكريا في مصر . ص ٥٣ .

ثم يشير إلى أن من أهداف هذا الانقلاب استبعاد الثورة الشعبية التى يسعى لها - بجد - الإخوان المسلمون ص ٥٤ ، ١٥ ، ٥٩ س ٢ وللتمويه يضيف : والشيوخيون .

(١) ادعت بريطانيا الصداقة لمصر أثناء احتلالها .. وادعى نابليون من قبل الإسلام، وأعلن خليفته في مصر فعلا إسلامه، وعندما اقتربت جيوش الألمان من مصر كانت المنشورات فيها توزع باسم محمد هتلر !!

(٢) راجع ما كتبه موروي بيرجر - الكاتب الأمريكى - عن أن الانتخابات الوطنية أقدر من الانتخابات الأجنبية في إحداث التغيير الاجتماعى المطلوب .. وتحذيره من الاكتفاء بمجرد فرض التغيير ، بل لابد من تعهده حتى يعمق في نفوس المجتمع .

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ويذكر صراحة مايلز كوبلاند في لعبة الأمم: كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار ( مارس ) ١٩٤٩ من إعدادنا وتخطيطنا ، لعبة الأمم - ص ٤٩ ثم يقول في ص ٥٨ : وكان قرارنا الأخير: أن تكون مصر خطوتنا الجديدة.

أمثلة ذلك كما صرح أحد الكتاب الأمريكيين :

سوريا سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م .

مصر سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .

ومن قبل هؤلاء :

إيران سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠ م .

تركيا سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨ م .

وفي كل مرة يستفيدون من تجارب المرة السابقة .

فمثلا ، الخطأ الذى وقع فيه كمال أتاتورك فى محاولة فرض التغيير الاجتماعى بالقوة ..

استبدلت القدرة بالقوة .

مع وسائل الإعلام المختلفة ، وما يصحبها من وسائل أخرى للتبشير - أشرنا إليها .

فقد كان أتاتورك غيبا حين فرض خلع الطربوش بالقوة .

فقد خلعه الناس فى مصر لما رأوا رجال الانقلاب الجديد الأبطال لا يلبسونه

بدون حاجة إلى قانون ! وهكذا !

لكن القوة بقيت لازمة تؤدى أمرين :

أولهما : قمع المعارضة والمعارضين - خاصة إن كانوا من أصحاب العقائد .

ثانيهما : مساندة الباطل والمبطلين ، فيما يمشون فيه من تخطيط أليم لإبعاد

الناس عن الإسلام .

ولبيان هذين الخطئين ، نقدم وثيقة جاءت فى حيثيات حكم صدر فى بلد إسلامى ،

نسقط منها أسماء الضحايا ، وأسماء المجرمين؛ لنصل بها إلى الموضوعية الكاملة<sup>(١)</sup> .

تبدأ الوثيقة بالإشارة إلى أسماء أعضاء اللجنة التى قدمت معلوماتها

واقترحاتها ، وأكثرهم من رجال المخابرات والمباحث والأمن .

(١) هذا الحكم منشور فى كتاب (الزنازة للدكتور جريشة) - الناشر : دار الشروق.

ثم تلخص معلوماتها بالإشارة إلى أن تدريس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط الدين بالسياسة فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ، ثم الإشارة الإشارة إلى صعوبة التمييز بين معتقئ الأفكار ( ... ) وبين غيرهم من المتدينين .. إلخ .

ليصل إلى المطالبة :

١- بمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين .

٢- إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم بحمل الدعوة الإسلامية، ولا يقتصر الأمر على هذه الفئة ، بل يمتد إلى «كل المتدينين باعتبارهم يمثلون الاحتياطى الذى يصب فى هذه الفئة» !

ومن وسائل الإبادة : الإعدام ، والسجن ، والاعتقال ، ويبلغ الأمر غاية خسته حين تصرح « بالنسبة لنسائهم سواء كن زوجات أو بنات ، فسوف يتحررن ويتعرضن مع غياب عائلهن وحاجتهن المادية .. إلى انزلاقهن » .

وهكذا تفقد الأنظمة العسكرية حتى الشرف والكرامة !!

بقى السؤال لماذا يفضلونها وطنية ؟

نسمع إجابتين :

إجابة من الكاتب الأمريكى مايلز كوبلاندى .

«فكان الحكام من ( طراز ... ) يعطون الأولوية على غيرهم؛ لأن استيلاءهم على السلطة يوفر أفضل الفرص - أو أقلها سوءاً - لنجاح ( لعبتنا ) »<sup>(١)</sup> .

وفى مكان آخر : «إن نموذجاً ( مثل ناصر ) كان من الأهمية بمكان بخصوص اللعبة ، وإنا كنا ملزمين بالبحث عن مثل له فيها لو لم يكن على قيد الحياة »<sup>(٢)</sup> .

وإجابة من الكاتب الأمريكى موروى بيرجر :

وكان الجيش من بين كل جماعات النخبة الوطنية أكثرها دنوا من المشاكل التى تواجهها مصر، دنوا بالمعنى الحسابى ، والعلمانى ، والواقعى ، وبهذه الصورة كان

(١ ، ٢) لعبة الأمم ص ٢٦ ، ٢٨ .

الجيش أكثر النخبات تغرباً<sup>(١)</sup>.

والواضح من تقرير (...). الموجز أن الضباط كانوا علمانيين يتوقون إلى بث التعاصر في مصر متماشين مع الخط الغربي التكنولوجي، ولم يكن الضباط على ثبات أيديولوجي، بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي والاجتماعي للحياة المصرية، إلا أن قيادتهم كانت تضع نصب عينيها صورة من مصر العلمانية كما يتصورونها، ويتحركون صوب هذا الهدف على خط مستقيم<sup>(٢)</sup>.

ويعمم الكاتب: « وعلى ذلك، فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية، ويواجه الزعماء العرب طريقتين: فهم يطردون الغرب سياسياً ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافياً<sup>(٣)</sup>. ونجيب بعد هؤلاء فنقول - بعون الله:

١- أن النخبة الوطنية التي حلت محل « النخبة الأجنبية » وفرت على الأخيرة أولاً: الدم والمال اللذين كانا يبدلان في الحروب الصليبية أو في محاولات الاستعمار.

٢- وأنها كذلك منعت إثارة المشاعر الدينية أو الوطنية، التي كانت تتحرك حين يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة، تتحدى قيمه الدينية، أو قيمه الوطنية، ومن ثم فقد ميعت المقاومة أو منعتها!

٣- أنها بلباس الوطنية نفذت المطلوب، ليس فقط دون مقاومة بل أحياناً مع استحسان الجماهير وحماستها<sup>(٤)</sup>.

(١، ٣) العالم العربي اليوم ص ٣١٢، ص ٣١٤، وراجع ما قدمنا، - والمقصود بـ «تغريباً» الميل إلى الغرب في قيمه ومثله، بدلاً من قيم الإسلام ومثله.

(٤) وفي هذا السبيل لا بأس من أن تسمع الجهات الأجنبية بمهاجتها لتكسب الحاكم مؤيداً من الصفات الوطنية، ولتكسب استحسان الجماهير وحماستها. وفي هذا المعنى يقول مايلز كوبلاند: فإن مساندتنا لأي زعيم للوصول إلى سدت الحكيم والبقاء هناك حتى يحقق لنا بعض المصالح التي نريدها، لا بد أن يرتطم بالحقيقة القاسية وهي: أنه لا بد له من توجيه بعض الإساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ويضمن استمرارها (ص ٥٥ من كتاب لعبة الأمم).

وفي الوقت نفسه يقول السياسي الصهيوني مستر سكوتمان في مقال يرثي فيه زعيماً عربياً: كان الرجل الوحيد الذي اقتنع بضرورة التعايش السلمي مع إسرائيل، وكانت لديه الجرأة والسلطة الكافية لإيجاد الظروف اللازمة لهذا التعايش. ص. ز، مقدمة كتاب الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الأمريكية - دكتور محمد صادق. وفي مكان آخر يقول مايلز كوبلاند: إن الهدف الرئيسي من دعمتنا (...) هو رغبتنا في توفير زعيم عربي رئيسي يتمتع بنفوذ قوي على شعبه وعلى بقية العرب، له من القوة ما يمكنه أن يتخذ ما شاء من القرارات الخطيرة وغير المقبولة من الغوغاء مثل عقد صلح مع إسرائيل ١ ص ٨٩، لعبة الأمم).

٤- أنها استطاعت أن تقضى على كل معارضة من أى فئة ، دون أن يتحرك أحد  
لنصرة هذه الفئة ، بل مع اعتقادهم بما تديعه «النخبة الوطنية» من أن المعارضين  
خوارج - أو خونة !!

وأخيرا ، سؤال لا ينفك عن السؤال الأخير :

لماذا يفضلونها «عسكرية» ؟

نقول - بعون الله :

- ١- لأنها «أسرع» في الوصول إلى الحكم ، وأكثر شغفا بالسلطة<sup>(١)</sup> .
- ٢- لأنها «أسرع» في تلبية الأوامر الخارجية ، والالتزام حرفيا بها ، فهكذا تعلمهم الحياة العسكرية .
- ٣- لأن قبضتها «أقوى» بالنسبة لأية معارضة أو أية مقاومة .
- ٤- أن الطبقة العسكرية في أغلبها أعدت إعدادا خاصا ، يجعلها «علمانية» و«غربية» لا تستنكف الانحلال لنفسها ولا لغيرها ، ومن ثم فهي أنسب الفئات لتنفيذ مخطط الإبعاد من «الإسلام» .
- ٥- أنها تزيج بذلك احتمال تقدم عناصر دينية إلى الحكم عن الطريق الشعبى العادى<sup>(٢)</sup> !

وليس معنى اللجوء إلى الانقلابات العسكرية، انتهاء الوسائل الأخرى . إن القوى الأجنبية المعادية للإسلام لا تزال محتفظة لبعض الأنظمة «الرجعية» بالبقاء ، أو لأنها تنفذ ما يطلب منها ، وثانيا : لأنها أضعف من أن تقف يوما في وجهها ، وثالثا : لأنه داخل هذه الأنظمة نفسها يجرى التغيير ، باستعداد الابن على أبيه ، والأخ على أخيه ، بعدما يجرى الاتفاق على الصفقة، وماذا يبيع لكى يجلس على العرش ؟ ! ورابعا : لأنها حين يبدو العصيان يكون الردع سريعا وعنيفا ، وحوادث «الاغتيال السياسى» فى الماضى القريب شاهدة على ذلك ، وقد كانت موضع تحقيق

(١) لقول مايلز كوبلاند : وكان متفانا أن نرفع إلى الرئاسة حاكما أكثر شغفا بالسلطة (ص ٥٩ من لعبة الأمم) .  
(٢) ص ٦٣ - ٦٥ من (لعبة الأمم) .

«الكونجرس» في فضائح المخابرات المركزية الأمريكية .

وأخيراً ، فإن بقاء هذه الأنظمة - في نظر أعداء الإسلام - رهين بانتهاء العصبية التي تستند إليها، وفي المواجهة بزيادة قوة وقدرة القوات المسلحة لتولى الأمر، حيثذ سوف تخلعها بيسر وبغير حياة، ولا احترام للود البادي والوفاء الظاهر !!

وهكذا نرى اتفاقاً غريباً على علمنة التعليم، وعلمنة الإعلام، وعلمنة المجتمع كله، عن طريق المرأة وعن طريق الشباب؛ لبيتعد بذلك عن الإسلام نجدها في الدول الإسلامية - رغم اختلاف نظم الحكم الحاكمة؛ لأن التغيير السياسي وإن اختلف أسلوبه، فالهدف لا يختلف وهو التغيير الاجتماعي أو التغريب أو بالعبارة الواضحة : الإبعاد عن الإسلام !

لكن، هل انتهت تماماً وسيلة الحروب والاستعمار التي كانت سبيل الغرب من قبل لفرض أهدافه وغاياته ؟

لا نستطيع أن نجيب بالنفي ؛ لأن الحروب انتهت في أغلب البلاد في صورتها العسكرية ، واستبدلت لها الحرب الفكرية والنفسية لتحطيم عقيدة الأمة ومبادئها . ولا نستطيع أن نجيب بالإثبات؛ لأنها لا تزال تستعمل في نطاق محدود ، وهو ما اصطلح الغرب على تسميته بالحرب المحدودة ، واحتلال الجيوش الأمريكية لشواطئ لبنان سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ هـ مثل قريب ، وتحركات الأسطول السادس كذلك .

لكن في رأينا أن الحرب المحدودة ارتدت كذلك ثوبا محليا ، فأصبحت الجيوش العربية أو الإسلامية تسلط لهذا الغرض ، وتدخل سوريا في لبنان مثل قريب، وانفصال بنجلاديش عن باكستان من قبلها مثل قريب كذلك !

## المبحث الثاني التغيير الاجتماعي

ما يبغي الغرب منا ؟

في البداية، كان الهدف واضحا : إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم إلى دين آخر - كما وضع ذلك من كلام المبشرين .

ثم لما صارت عملية «التنصير» بلغة الأرقام صعبة إن لم تكن مستحيلة بين الشعوب التي تدين بالإسلام، اقتصرَت العملية على الجزء الأول منها : إخراج المسلمين من دينهم، وكانت الوسائل إلى ذلك هي نفس الوسائل «وسائل التبشير» الأولى التي كانت تقوم بالشقين : الإخراج من الإسلام ، والإدخال في الدين الآخر .

ونجحت الخطة الثانية ، ولا تزال تعمل في كثير من البقاع الإسلامية .

ثم كانت الخطة الثالثة ، التي لا تذهب إلى عملية الإخراج من الدين تماما ، ولكنها تكفي بالإبعاد ؛ الأبعاد عن الدين ، من غير استعمال لفظ الإبعاد حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم إلى حقيقة الهدف ، وكانت وسائل التبشير الأولى هي التي تستعمل لتحقيق الهدف الجديد ، مع تطوير فيها يجعلها أكثر نعومة ، وأكثر فاعلية .

إذا فالهدف هو إبعاد المسلمين عن الإسلام باعتباره الخطر الكامن كما يتصور الغرب أو يتوهم ، وقد كانت الإشارة إلى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهديبا مثل التغريب أو التغيير الاجتماعي<sup>(١)</sup> .

معنى التغيير الاجتماعي وصلته بالتغيير السياسي :

إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان ، والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل مهمة في جلب التغيير الاجتماعي .

(١) راجع في ذلك كتاب : الحضارة الغربية للدكتور محمد حسين وكتاب : (العالم العربي اليوم - للكاتب الأمريكي موروجر).

وتشارك النخبات العسكرية العربية اشتراكاً عميقاً في الاعتقاد بضرورة التغيير الاجتماعي السريع .

أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امراً ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً؛ فقد أصبح العرب «متغربين» بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا .  
فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى ، تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ، ويواجه الزعماء العرب طريقين :

فهم يطردون الغرب سياسياً ، ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافياً<sup>(١)</sup> .  
التغيير الاجتماعي - إذن - يعنى تغيير قيم الأمة ، ومثلها تغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ، وبعبارة واضحة : إبعاد المسلمين عن دينهم .

والتغيير الاجتماعي ، قد يسمى التغريب ، وقد يسمونه المدنية أو التطور أو التقدم ، وأياً ما كانت الحال فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع . إن العمل يسير بجهد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر .

وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة، وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف، تقوم على التطور والتدرج<sup>(٢)</sup> .

وواضح أن التغريب ، أو التغيير الاجتماعي ، الذى كان يجرى على أيدي المحتلين والمستعمرين ، صار يجرى اليوم - في أكثر الأحوال - على أيدي «النخب الوطنية» التى هى في أكثر الأحيان «عسكرية»<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع مورو بيرجر في العالم العربى اليوم ، صفحات ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ .

(٢) الفقرة الثالثة من تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الإنجليزية .

(٣) يشير الكاتب الأمريكى إلى تقرير لزعيم مصرى جاء فيه: إن الضباط كانوا علمانيين ( ستعرف معنى العلمانية في الصفحات القليلة القادمة - يتوقون إلى بث التعاصر في مصر متماشين مع الخط الغربى التكنولوجى .

ولم يكن الضباط على ثبات أيولوجى ، بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسى والاجتماعى للحياة المصرية ص ٣١٣ ع ، ٣١٤ ، من المرجع المذكور ويضيف الكاتب الأمريكى: أن معيار ذلك الزعيم في الضباط الكفاء ، هو استنتاج على الأقل تعرفه إلى الغرب ، وينقل الزعيم في الضباط الكفاء مدحا لرئيس هيئة أركان الجيش المصرى في الحرب العالمية الثانية : كان متقبلاً للأفكار الحديثة لكثرة زيارته لفرنسا وإنجلترا وألمانيا) ص ٣١٠ من كتاب العالم العربى اليوم ، للكاتب الأمريكى مورو بيرجر .

هذه هو الهدف : التغيير الاجتماعي ، الذى يعنى فى الحقيقة إبعاد الأمة عن دينها فى شتى نواحي الدين التى تشمل شتى نواحي الدنيا .

ولكن لهذا الهدف وسيلة أو وسائل وأساليب هى التى تمثل « التكتيك » الجديد لغزو الغرب الفكرى .

ويحسن أن نعرض لها فى مبحث مستقل .

## المبحث الثالث

### أساليب التغيير الاجتماعي

#### «أو التغيريب»

يتخذ الترتيب لإحداث التغيير الاجتماعي - الذي يبعد الأمة الإسلامية عن إسلامها - يتخذ خطة «استراتيجية» طويلة المدى حتى تحس الأمة الإسلامية بالهدف البعيد، بل قد لا تحس بالأسلوب الذي يجري به التغيير، وكأن هذا التغيير يتم تلقائياً .

وأهم ما في هذه الاستراتيجية من تخطيط، أن يتخذوا لهدفهم رسولا منا « من أنفسهم»، «وأن يقطع الشجرة أحد أعضائها» الأمر الذي يجري في التغيير السياسي سواء عن طريق الانقلاب العسكري، أو الاغتيال السياسي بالأساليب التي أشرنا إليها .

يلي ذلك أنهم يخاطبون بهؤلاء الأعضاء، يخاطبون بهم فكر الأمة وعقيدها، ومن ثم يجري التغيير - أول ما يجري - داخل العقول والقلوب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مجال الأخلاق والتقاليد والعادات .. ويبلغ الاهتمام بإحداث التغيير أدنى مظاهره كأكل الطعام باليد اليسرى، وإلقاء التحية بغير تحية الإسلام .

ولولا كتابات كتبها مفكروهم لتوجيههم إلى أحسن الوسائل لبلوغ أسوأ الأهداف وأخبثها، ما استطعنا أن نعرف شيئا عن «استراتيجية» الغرب أو تكتيكه نحو هذه الأمة المسلمة، وقبل ذلك لولا فضل الله ورحمته لانتهدت هذه الأمة المسلمة، وقبل ذلك لولا فضل الله ورحمته لانتهدت هذه الأمة نتيجة ذلك التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق لإبعاد الأمة عن دينها .

وإذا كانت أساليب التغيير الاجتماعي تتجه إلى فكر الأمة وعقلها ثم إلى عقيدتها وقلبها ، فإنها تعتمد على وسائل الإقناع المختلفة .

وتخطط لها تخطيطاً علمياً يقوم عليه علماء النفس وعلماء الاجتماع ، فوق أجهزة التخابر والإحصاء المختلفة .

ويسير التخطيط على جعل وسائل الإقناع المختلفة في أيدي غير المستمسكين بالدين ، فإذا أفلت متدين إلى هذه الوسائل أحاطته بوسائل الإغراء والاحتواء المختلفة حتى تتحرف به على السبيل القويم .

وتحت شعارات : العلمانية ، والقومية ، وتحرير المرأة ، تجرى وسائل الإقناع المختلفة لتحقيق إبعاد الأمة عن دينها .

ونحاول بمشيئة الله بحث هذه الثلاثة لتبين كيف يجرى بها إبعاد الأمة عن دينها .

### أولاً : العلمانية

معنى العلمانية :

قد تشعر الكلمة في اشتقاقها أنها تعنى رفع شعار العلم ، ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الإسلام ، بل إنها إحدى وسائل الإسلام وبعض أهدافه !

وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا معنى الكلمة في لغتها الأصلية ، ليقع المسلمون في هذا الوهم !!

إن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية Secularity وهذا اشتقاق من Secular وهى مرادفة للكلمة الإنجليزية Unreligious أى لا دينى أو غير عقدي، ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية !!

ومن هنا نفهم إعلان البعض عن قيام دولة علمانية ، أو عن رغبة البعض الآخر في ذلك ! ونفهم سر اختيار الكلمة ، إنها تعبر عن المقصود دون صدم للمشاعر والأحاسيس !

ولنا أن تصور الفارق بين الإعلان عن دولة علمانية أو الإعلان عن دولة لادينية !  
من هنا نحس خبث ترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية، ونحس خبث الذين  
يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ الكاشف عن المعنى المقصود، ونحس مع هذا كله  
بواجبنا لتعرية هذا اللفظ الخبيث على حقيقته !

### العلمانية بين الغرب والشرق :

لم يكن غربيا في الغرب أن تجرد العلمانية مكانها ، فقد فرضت ذلك ظروف  
الغرب ، نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة  
ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي ، وتجاوزها ذلك الحجر على  
العقول ، إلى حجر أخطر على القلوب ، حين فرضت صكوك الغفران وقرارات  
الحرمان ، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام !!

وغرقت أوروبا في دماء ضحايا الكنيسة ، حيث سقط المئات بل الآلاف تحت  
مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها ، غير من غيبوا في غياهب السجون .

وإذا كانت سنة الله في الكون أن لكل فعل رد فعل مساويا له في القوة ومضادا  
له في الاتجاه ، فلقد وقع الصراع - صراع العلم مع الكنيسة - وانتهى بإعلان العلمانية  
التي تعنى فصل الدين عن الدولة ، وتقلص سلطان الكنيسة داخل جدرانها !!

وفضلا عن أن ظروف أوروبا التاريخية كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن  
الدولة ، فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية بعدما أدخل عليها من تحريف - كان اليهود  
وراء أكثره - كانت ظروف الديانة المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية إلى جانب الدين .

وليس غربيا بعد ذلك أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة كما صرح  
بذلك كاتب أمريكي<sup>(١)</sup> ، بغية القضاء على بقايا الدين الذي حرفوه بتعطيله وحبسه  
عن المجتمع داخل جدران الكنيسة .

(١) وليام غاي كار في كتابه : أحجار على رقعة الشطرنج .

وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع عن أن الدين الذي حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير ، حتى صارت الصلاة تؤدي على أنغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحاملة وبين الألحان الدافئة والساخنة ، تحت سمع وبصر رجال الدين ، بل تحت « رعايتهم وتوجيههم » السديد .

وكانت أوروبا قد بلغت في التقدم العلمي « التكنولوجيا » درجة جعلتها - ولو إلى حين - تستطيع أن تقيم نهضة مادية ، بهرت الناس في أكثر الأحيان .

و حين أريد نقل العلمانية إلى الشرق الإسلامي ، غفل المسخرون - عن علم أو عن جهل - غفلوا عن هذه الظروف جميعا ، غفلوا عن أنه ليس في ظروف الشرق الإسلامي التاريخي ما يبرر فصل الدين عن الدولة ، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الإسلامي - إذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة - لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين للعلم أو للعلماء .

ولم يكن في تاريخنا الإسلامي محاكم تفتيش ، ولا صكوك غفران ، وقرارات حرمان . والذين انحرفوا من العلماء عن جادة السبيل إلى ممالأة الحكام ، لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهورها ، والذين كانوا لسان صدق حملتهم في حنايا صدورها وقدمتهم في أول صفوفها .

كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة ؛ لأن الدولة في فقه الإسلام قسم للدين لا قسيم ، فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين .

كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بقيام العلمانية إلى جوار الإسلام ، بمقولة أن الإسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشريعة ، وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة ، لأن الإسلام عقيدة وشريعة وشريعة ، وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ، ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما يدينون لله في مجال العقيدة والشريعة .

كذلك مع التسليم جدلاً بصحة نظرة الغرب التي اعتنقها الحاقدون أو الجاهلون في الشرق الإسلامي ، فلم يكن الشرق الإسلامي قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمي والتكنولوجي الذي بلغه الغرب لي طرح الدين جانبا ، ويرفع شعار العلمانية.

ومن ثم حرم الشرق الدين كما حرم الدنيا ، وارتضى بقشور تورثه الترف والدعة ، وتبعده كثيرا عن الجد والجهاد والعمل .

### وسائل نشر العلمانية :

حرص الغرب منذ وطئت أقدامه التراب الإسلامي على نشر العلمانية بأكثر من سبيل ، وحين ورثت النخب الأجنبية « النخب الوطنية » مكان السلطة وبوأتها كراسيها حرصت على زيادة نشر العلمانية بكل الوسائل ، ووضعت خبراتها «العلمية» والتكنولوجية لتحقيق هذه الغاية.

ومن ثم فلم يكن غريبا أن نسمع عن بلاد إسلامية متخلفة - من الدرجة الثالثة أو الرابعة - تدخل فيها «التلفزيون» ، قبل أن تمحو من أبنائها الأمية التي تربو على الثمانين أو التسعين في المائة ، بل إننا نسمع عن إدخال التلفزيون الملون في بلاد متخلفة جدا وأحيانا فقيرة جدا.

أما مجالات نشر العلمانية ووسائلها فقد كانت : أولا في التعليم ، ثانيا : في الإعلام ، صحافة وإذاعة ، وتلفزيون ، وسينما ، ومؤلفات ، ثالثا : في القانون . ويحسن أن نعرض لكل بكلمة :

### أولاً : التعليم :

إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة !! تقف حاجزا في طريق أي إصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون

معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى !! ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكأنت هذه خطوة جليلة الخطر .

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه، فحينئذ يصبح الأمل محصورا في إصلاح التعليم اللاديني الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى<sup>(١)</sup> .

\* هذه كلمات اللورد كرومر، اللدنى حاكم مصر المسلمة ممثلا للاحتلال الإنجليزي يساعده دنلوب، وهو أحد المتخرجين في كلية اللاهوت في لندن .

\* تكملها كلمات للمستشرق جب ( وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنهاء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند )<sup>(٢)</sup> .

\* وأخيرا تكمل هذا كلمات زعيم المبشرين النصارى «زويمر» يقول على جبل الزيتون في القدس إبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) (لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وأنكم أعددتكم نشءا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها (!) ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامى ، طبقا لما أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات . فإذا تعلم فللشهوآت ، وإذا جمع المال فللشهوآت ، وإن تبوأ أسمى المراكز، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شىء) .

(١) تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦م الفقرة ٣ ص ٥، والاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) وجهة الإسلام ، تأليف المستشرق جب وآخرين ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده .

كانت تلك هي النصوص ..

ومفادها : أنه لما كانت البلاد الإسلامية في سابق عهدها إسلامية التعليم ، فقد كبر على الاستعمار الغازي أن يترك للمسلمين دينهم ، بعد أن أبى عليهم أن يترك لهم أرضهم . وكان لا بد له أن يحقق لهم «جهالتهم» بالدين ليتحقق فيهم من بعد ، أن من جهل شيئا عاداه .

وكان له في ذلك أكثر من سبيل :

أما السبيل الأول : فهو ما لجأ إليه من حصر التعليم الديني ، وحصاره ماديا ومعنويا . فأما الحصر والحصار المادي ، فقد كان يفتح التعليم اللاديني في مواجهته وتشجيعه ، وهو ما أشار إليه المستشرق جب «بإنهاء التعليم العلماني تحت الإشراف الإنجليزي في مصر والهند» . وتم مع ذلك تضيق الموارد المادية على التعليم الديني . وإغداقها على التعليم اللاديني .

وأما الحصر والحصار المعنوي ، فهو ما لجأ إليه من تنفير وسخرية بطالب العلم الديني وبأستاذه ، وبالتفرقة بين أستاذة الدين ، والمواد الأخرى في كل شيء ، تفرقة مرسومة مقصودة ، ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية ، وبين زملائه في الكليات الأخرى ، فمناصب المعاهد والكليات الدينية محدودة ، متواضعة في المظهر ، وفي الأجر ، ومناصب المعاهد والكليات الأخرى عديدة كثيرة فارهة المظهر ، والأجر ، وفي اللاشعور يرسب ذلك كله نفورا من الدين . وإقبالا على غير الدين . من حيث لا يدري الطالب الصغير ، أو الكبير ومن حيث لا يشعر .

وأما السبيل الثاني : فكان الابتعاث إلى الخارج ، إلى الدول غير الإسلامية ، وحقق ذلك الابتعاث نتائجها الباهرة المقصودة .

فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ، ويزيده تعلقا بقيم

الغرب أو الشرق ومثله ، وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيع بطباع غير إسلامية ، ثم يصير التطبيع مع الزمن طبعاً ، وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر، حتى من تقاليدته في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ، ويغدو غربياً أو شرقياً ربما أكثر من الغربي أو من الشرقي .

وحول هذا المعنى يقول أحد الكتاب الغربيين : «فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة، الشرق الأدنى ، تتحول هذه المنطقة، فتصبح أكثر غربية، ويواجه الزعماء العرب طريقتين:

فهم يطردون الغرب سياسياً ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافياً»<sup>(١)</sup>.

ولقد بدأ هذا السبيل مبكراً. ربما ليسار عوا إلى تخريج الأساتذة التي تجرى «تفريخ» مبادئهم بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث الجدد ، وبغير حاجة إلى جهد غير وطني ، وهو ما يصرح به نفس الكاتب السابق حين يقول :

«أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرأ ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً ، فقد أصبح العرب «متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا» .

ومثل ذلك هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى ابتعث إلى باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربى (الذى تتلاصق فيه الأجساد وتختلط الأنفاس وتتلاقى النظرات) بأن هذا الرقص لون من العياقة والشلبنة (أى الفتوة)، ثم ينادى بالفرعونية (وهى في ميزان الإسلام جاهلية وعصبية متنتة) ينادى بها بديلاً عن الإسلام.

ومن بعد رفاعة ، كان طه حسين وكتاباتة في مستقبل الثقافة في مصر وفي مرآة الإسلام ، ومن قبلها في الشعر الجاهلى ، لا تحتاج إلى تعليق لكل ذى بصر إسلامى .

(١) العالم العربى اليوم - مورو بيرجر .

ومع طه حسين ، قاسم أمين الذى نادى فى مصر بتحرير المرأة، وإرن نسب البعض كتابته إلى الشيخ محمد عبده «والزعيم» سعد زغلول ، وقد خشى الزعيمان على شعبيتهما ، فحملا قاسماً العبء ، وحمله إنه كان ظلوما جهولا .

كل هؤلاء ، لم تكن ثقافتهم، ولا تربيتهم محلية .

ومن ثم فلم يكن غريبا ما صرحوا به أو أذاعوه .

بل كان ذلك جزءا من مخطط رهيب أثيم لهدم قيم الإسلام ومثله.

ولا يزال الابتعاث - رغم ما خرج من أساتذة يقومون بنفس الدور - لا يزال له دوره، وبخاصة فى البلاد التى تسمى «نامية» والتى يخشى أن تتجه بصدق إلى الإسلام ، لا يزال الابتعاث يولى أهمية كبيرة لهذه البلاد، باعتبارها بكرا «ويصل الاهتمام إلى حد تزول الابتعاث من مرحلة ما بعد الجامعة إلى مرحلة ما بعد الثانوية العامة ، حيث سن المراهقة الخطيرة يتقل فيه الشاب من المجتمع المغلق إلى المجتمع المفتوح ، والمفتوح جدا ، فتقلب موازين عقله بعد موازين قلبه ، كما حدث فى درس رفاعة رافع الطهطاوى (الصعيدى).

كما يصل الاهتمام حدَّ الحرص على إيفاد المبعوث سنة كاملة لكل خمس سنوات ، بعد عودته من بعثته المباركة ، وتوليه أهم المناصب .

وهكذا ، يستمر الرضاع بين الأم ووليدها دون فطام .

وهكذا ، يتولد ضمان استمرار «الولاء» و«الوفاء» أو ما هو أشد من الولاء والوفاء.

وأما السبيل الثالث : فهو انتشار المدارس الأجنبية فى البلاد الإسلامية، وقد كان فى البداية سبيلا لتنصير المسلمين ، وعلى هذا نصت بعض مؤتمرات التبشير، وعلى هذا نفهم إنشاء الكلية الإنجيلية فى بيروت ، وإنشاء الجامعة الأمريكية فى مصر<sup>(١)</sup> .

(١) راجع: قرارات مؤتمر القاهرة ١٣٢٤هـ ١٩٠٦م ومؤتمر لكنؤ بالهند (١٣٢٩-١٩١١م) فى كتاب الغارة على العالم الإسلامى .

لكن استفادة من نصائح زويمر ، لم يعد مطلوباً لإدخال المسلمين إلى المسيحية أنه يكفى إخراجهم من الإسلام . وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حالياً في البلاد الإسلامية .

وأقل ضرر لها هو الازدراء باللغة العربية ، وتمجيد اللغة الأجنبية بما يترتب على الأمرين من آثار خطيرة في اللاشعور .

وأقل ضرر لها ، هو الازدراء بالدين ، بعد أن تعمد إلى تقديم مدرسه متهدماً في مظهره ومخبره ، مثيراً للسخرية والاشمئزاز من صغار الطلاب وكبارهم على السواء ، بينما يظهر رجل الدين عندهم على نحو مخالف يولد الرهبة والاحترام وقد يولد الحب والود والألفة .

وأما السبيل الرابع : فقد كان تميم المناهج الإسلامية باسم التطوير ، وقد رأينا أن كرومر قد دعا إلى تطوير الأزهر .

ورأينا خلفاء «كرومر» يقومون بالتطوير بعد خمسين سنة أو يزيد ، ومع كرومر أو قبل كرومر نادى بذلك مؤتمرات التبشير .

ولم يكن الأمر مقصوراً على مناهج المعاهد والكليات الدينية، إن الأمر امتد إلى مناهج «الدين» في التعليم العام ، فافتصرت على القشور ، واحتوت على التعقيد ، وصاحبها سوء اختيار معلم الدين الذى كثيراً ما يكون متعمداً ليورث في اللاشعور كراهية الدين والسخرية منه .

وأما السبيل الخامس والأخير : فقد كان نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم ، وقد بدؤوا بها في الجامعات في أكثر البلاد الإسلامية ، تحت دعوى التقدم والتمدين ، ونشر الروح الجامعية ، وكأن التمدن والتقدم ، ونشر الروح الجامعية لا يتم إلا بإشعال نار الغرائز ، وتأجيج سعار الشهوة في سن الشباب الملتهب .

وقالوا في تبرير الاختلاط الكثير ، مما هو غير صحيح - حتى في علمهم هم ، فقد قالوا: إن الاختلاط يشذب الغريزة ويهدبها ، وأثبت العلم أن الاختلاط لا يخلو من أحد أمرين :

إما أن يشيع « البرود الجنسي بين الجنسين » ، وهذا مرض تشكو منه بعض البلاد ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية .

وإما أن يؤجج سعار الجنس ويزيد لهيبه ، وهو ما تؤكد تجربة القط والفأر اللذين أتيا بهما وهما رضيعان ، ثم وضعا في قفص صغير واحد ، وظلا يأكلان سويا من طبق واحد ، حتى إذا جاء موعد ظهور الغريزة - ولكل غريزة موعد - انقض القط على الفأر ، فأكله ولم تشفع له عشرة طالت ولا اختلاط دام .

وتوسعوا في أمر الاختلاط ، فجعلوه في المرحلة الابتدائية ، وهي عند البعض قد تضم بعض سنوات المراهقة ، وجعلوه في المرحلة الثانوية ، وهو أخطر ما يكون .

وتزداد المهزلة حين يجعلون على هؤلاء المراهقين مدرسات ؛ لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات ، فتهدم قيمة احترام المدرس مع ما يهدم من قيم بالاختلاط أو مع الاختلاط .

وتأكيدا لهذا السبيل الآثم ، تحرص كثير من المؤلفات على التهوين من مقدمات الزنا التي لا بد أن تفضى إليه إلا من عصم ربي ، وقليل ما هم .

ففي أحد كتب مؤسسة فرانكلين الأمريكية التي تنشر في أحد البلاد الإسلامية يقول : « فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب أن نعمل على إشراكهم معا في الأعمال الممتعة ومواقف اللعب ، وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات ، فينبغي النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا .

وعبثا تحاول المؤسسة الأمريكية أن تخلع عن الحرام اسم الحرام . وأن تخلع عليه

ثوب «البراءة» الكاذب .

وفي مكان آخر ولنفس المؤسسة :

«إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أى حال ، باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق . وفي مكان آخر :

وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزها على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبعى .

وأخيراً :

فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية، هذه ليست أموراً شائنة»<sup>(١)</sup>.

وقد سبق خطوة الاختلاط في الدول الإسلامية المتقدمة ، خطوة تمر بها - الآن - الدول الإسلامية «غير المتقدمة» وهو التوسع في تعليم البنات .

وتعليم البنات في حد ذاته قد لا يكون هو مصدر قلق ، لكن التوسع في هذا التعليم من غير تخطيط إسلامي، بل ولا حتى فطري .. هو مصدر القلق كله .

ذلك أن إنكار اختلاف فطرة المرأة عن الرجل غباء أو تغابٍ ، فلا شك في هذا الاختلاف .

ومن ثم وجب اختلاف المناهج وفقاً لهذا الاختلاف ، ووجب اختلاف مجالات العمل كذلك تبعاً لهذا الاختلاف .

ذلك ، لو كان الذين يخططون لتعليم البنات يصعدون عن فهم إسلامي ، أو

(١) حصرتنا مهدة من داخلها للدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت .

حتى عن فهم ذاتى مبرأ من التدخل الأجنبي .

أما أن يصير الأمر مجرد مزاحمة للبننت مع الولد بحجة التمدين والتحضر حتى لو صادم ذلك فطرتها وطبيعتها ، بحيث ترى البننت مهندسة وصانعة وعاملة في الأفران ، فذاك لا يقره عاقل .

كذلك يسبق خطوة الاختلاط خطوة أخرى ، هو تعرية المرأة « المسلمة » أو كشف الحجاب عنها ، كذلك تحت دعاوى التحرر والتمدين ، وما حدث في الكويت الشقيقة منذ سنوات أقرب مثل .

لقد كانت الكويت - وهي جزء من الجزيرة العربية - تفرض عاداتها الإسلامية الحجاب على المرأة .

وتغص النظر عن الخلاف الفقهي في صدد كشف وجه المرأة ، فإن الأمر لم يقتصر على كشف الوجه ، بل كشفت المحارم التي لا خلاف على حرمتها .

وكان آخر ما قدمته الكويت المسلمة إخراجا لضيف كبير مسلم ، أن رقصت فتياتها المراهقات بملابس قصيرة تكشف عن أفخاذهن ، وبأداء متكرر مشير أمام الضيوف الكبار ، الذين امتدت بهم الجلسة إلى ما بعد منتصف الليل .

وهكذا يسبق التحرر الاختلاط ؛ ليزول الحياء قبل الاختلاط ، فيسقط آخر مانع يحول دون اشتعال النار .

وهكذا ينزوى التعليم الدينى مع ذلك الضجيج الهائل من حوله ، ومع ذلك التخريب الهائل من داخله ، وهكذا مثلت «الازدواجية» في التعليم تكتيكا مرحليا «مارسه أعداء الإسلام في الشرق الإسلامى المسكين» .

وترتب على هذا الازدواج بالوضع الذى أشرنا إليه نتائج خطيرة:

١ - فهى أولا : أدت إلى تمزيق المجتمع الإسلامى بين طائفة العلمانيين الواردين

من الخارج أو المتخرجين في الداخل .

٢- وهى ثانيا : أدت إلى إبعاد العلمانيين عن الإسلام .

٣- وهى ثالثا : جعلت الأمر إلى أيدي هؤلاء العلمانيين .

٤- وهى رابعا : أدت إلى الازدراء من شأن الدين والازدراء بطلابه ومعلميه .

ثانيا : العلمانية في الإعلام :

العلمانية في التعليم أقدم وأخطر .

والعلمانية في الإعلام أعم وأشمل ، ومن هنا تكمن خطورتها .

إن التعليم قد يخاطب الآلاف بمناهجه .

لكن الإعلام يخاطب الملايين ببرامجه .

وأكثر هذه الملايين ساذجة تؤثر فيها الكلمة ، مقروءة أو مسموعة أو منظورة .

فإن كانت طيبة كانت كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتى أكلها

كل حين بإذن ربها .

وإن كانت خبيثة كانت كشجرة خبيثة ، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار

ومن هنا ، كان اهتمام الإسلام بالكلمة وأمانتها .

فإما أن ترتفع بالمؤمن إلى معية سيد الشهداء .

وإما أن تهوى بقائلها في النار سبعين خريفا .

وللأسف فإننا نستطيع باطمئنان أن نقرر :

أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة ، وإذاعة ، وتلفزيون ، وسينما مسخرة اليوم

لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والسعى بالفساد في الأرض ، بما يترتب على ذلك

من خلخلة للعقيدة ، وتخطيم للأخلاق والقيم والمثل وهما (العقيدة والأخلاق) أساس

لبناء الإسلام ، فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء؟ .

وتفاوت درجات الفساد في وسائل الإعلام تبعاً لهذه الوسائل ، فهي في السينما أشد .  
يليه التلفزيون ، والإذاعة ، والصحافة .

كذلك تفاوت درجات الفساد بين أقطار الإسلام المختلفة .

قد يقول قائل : ولربما كان الفساد في بلاد لا تجاهر به أشد من بلاد أخرى تجاهر به ، ففيها الزنى واللواط وأكل الربا وشرب الخمر ، وغير ذلك من المنكرات .

ونقول : ولقد يكون هذا صحيحاً لا يمارى فيه عالم ، ولقد يكون علاجه واجباً ، ليس عن طريق الحدود وحدها ، وإنما عن طريق التربية الصحيحة والعلاج الاجتماعي بوسائله المختلفة ؛ بالقدوة والأخذ على يد المفسدين مهما كان مركزهم ، حتى لا تصير الحدود قصراً على الضعيف دون الشريف .

ومع ذلك ، فلا يبرر أن تجهر بلاد بالفاحشة ، فإن في ذلك إشاعة لها أياً إشاعة ، أو تتعالن بلاد بالمعصية ، فإن في ذلك إغراء بها أياً إغراء ، وهذا يساعد على سرعة الانتشار ، ويهون الجريمة على من يتردد في اقترافها ؛ ولذا كانت الحدود ردعاً لهذا الشر أن يسرى أو يستشري .

وليعلم الناس ما تفعله الصحافة في بلاد المسلمين ، نختار أربعة أمثلة من تواريخ مختلفة :

أ- مقال نشر بجريدة السياسة الأسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ، ذكر فيه كاتب المقال أن بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوروبا ، وقد تلقى بعضهن العلم في الكلية الأمريكية - بالقسطنطينية وذكرت واحدة منهن « أن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير في الطرقات في ظلام ، وأنا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات ، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر ، ومنتقل بغير أزواجنا » ويعلق كاتب الجريدة .. ولا يسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على

هذه الخطوات .

ب- في سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦) استضافت أسرة تحرير الأهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقته التي تعيش معه في الحرام (سيمون دي بوفوار) ، ويجهز بهذا الفجور والفساد .

ويدعى الرجال ويدعى النساء ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة ، وليسمعوا عنها السم الزعاف .

ج- ويبلغ الفجور في السبعينيات أقصى مداه حين تنشر جريدة الأهرام عن ضبط بيوت للدعارة ، فيها نساء من بيوتات لم يكن يسمع عنها من قبل سوء .

وتنشر عن ضبط تلميذات صغيرات في هذه البيوت .

ثم تهون هذه الجريمة الفظيعة تحت عناوين مثيرة .

تلميذة في شقة مفروشة ، افتحوا أبواب الاختلاط في كل مراحل التعليم ، وأطلقوا الحرية للشباب تحت رقابة الأسرة والمدرسة ، ولا تهمننا البنات التي تنحرف من أجل فستان<sup>(١)</sup> .

د- وفي أحد أعداد مجلة النهضة الكويتية سنة ١٩٧٦ تحقيق صحفى في سبع صفحات كبيرة مطرزة بصور مثيرة لفتيات شبه عاريات، وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض: حصاد المعاكسات في أسواق الكويت - مغازلات، معاكسات، همسات، نظرات، إشارات، أرقام تليفونات - سألت إحدى الصحفيات بعض فتيات الكويت اللاتي أدلين بأسمائهن كاملة ، وقصص ما يحدث لهن من تحرشات بأسلوب مكشوف حتى إن إحداهن ... لم تستحى أن تصرح أن بائع الأحذية في كل مرة يقيس لها حذاء أو يخلعه يتحسس ساقها، كما أن بائع الملابس يمسك خصرها

(١) جريدة الأهرام ١٣/٣/١٩٧٦ .

بكلتا يديه وتحكى أخرى ... أن الملابس تكشف كل شيء (لأنها شفافة) وخاصة عند طلوع الدرج داخل المحل؛ لأن الأضواء توضع على الدرج فتكشف كل شيء في جسمها ، هذا بالإضافة إلى زجاجة العطر التي سكبته على صدرها ، إلى جانب المكياج الصارخ الذى تزين به وجهها ، ولا أدري لماذا تحرص على مداراته بطرف العباءة (الشفافة) بعد كل هذه الزينة التي وضعتها عليه ؟ ولا ندري ماذا يستفيد القارئ المسلم من مثل هذه التحقيقات ؟ إلا تزيين الانحلال والتهوين من أمره وتعليم من يتعلم .

ونختم القول بالتنويه بما أوصى به المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة المنعقد فى عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م بمدينة رسول ﷺ ، منددا بحال الإعلام فى البلاد الإسلامية:

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى فيها إعلامنا - ولا يزال يتردى ، عن علم من القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم ، فبدلا من أن يكون الإعلام فى البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار إشعاع للحق صار صوت إفساد وسوط عذاب ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحوا ، وزلزل الناس فى إيمانهم وقيمهم ومثلهم ، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق ».

ثالثا : العلمانية فى القانون :

« حدِّ يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا » هذا مثل لأهمية الجانب القانونى فى الإسلام .

وكما تكون طاعة الله فى الشعائر ، لابد أن تكون كذلك فى الشرائع ، وكما يكون إشراك بالله فى الشعائر ، يكون كذلك إشراك بالله فى الشرائع .  
هذه كتلك؛ لأن كلا من عند الله .

والرهب لازم ، كالرغب فى إقامة شريعة الله .

والرهبة تولدها السلطنة .

والرغبة تولدها القدوة .

والاثنان يتحققان إذا كان الحكم للإسلام ، وكان حكامه من المسلمين ، من أجل ذلك كله كان حرص أعداء الإسلام على إبعاده عن مجال السلطنة ليحرموا الإسلام الرهبة والرغبة .

ومن ثم ليبقى مجرد هيكل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة .. ولقد وضح ذلك مما فعلوه في العالم الإسلامي .

ولنأخذ - مثلا - تركيا :

حين فكروا في إبعاده عن الإسلام بذلوا جهودهم « لعلمنة » القانون ، وتدرجوا ، ففي كل عشر سنوات يتم علمنة جانب من جوانب القانون منذ سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ، ثم صارت كل حوالي عشرين سنة، حتى تمت أكبر علمنة بإعلان إلغاء الخلافة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) .

وفي مصر :

اقترنت «علمنة» القانون بالاحتلال الأجنبي، فكانت أول علمنة سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣م) بعد الاحتلال بسنة واحدة ، واقترن إلغاء الامتيازات الأجنبية بشرط الأجانب الاستمداد من التشريع الغربي بعيدا عن الشريعة الإسلامية ، ثم اقترن إلغاء النص على أن دين الدولة هو الإسلام في دستور مصر المؤقت سنة ١٩٥٨ ، ثم في ميثاق العمل الوطني سنة ١٩٦٢ اقترن بأحداث داخلية يعرف عنها الكثير الكثير .

وأكثر الدول الإسلامية - بكل أسف - تمت فيها علمنة القانون .

والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون ، ويجري التمهيد لهذه العلمنة بما يجري من «علمنة التعليم» و«علمنة

الإعلام ، فيوجد جيل علمانى يقدر القانون العلمانى ويولد -نتيجة الإعلام -  
رأى علمانى ، يتقبل مثل هذه العلمنة .

وهكذا عملت العلمانية من خلال التعليم ، ومن خلال الإعلام ومن خلال القانون .

ولننظر كيف عملت « القومية » فى مواجهة الدين .

## ثانيا : القومية

على عهد رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار على أساس من آصرة الإسلام ، وليس على أساس أى آصرة أخرى ، آخى بين بلال بن رباح وخالد أبى رويحة الخثعمى ، وبين مولاة زيد، وعمه الحمزة بن عبد المطلب ، وبين خارجة بن زيد، وأبى بكر الصديق، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان .

ولما أراد أحد المسلمين أن يثيرها عصبية ونادى : يا للأنصار ، فنادى الآخر : يا للمهاجرين، قال رسول الله ﷺ غاضبا : «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» ! وفى حديثه ﷺ أكد المعنى فقال : «ومن قاتل تحت راية عمية يفضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل ، فقتلته جاهلية» .

وكان من آخر وصاياه يوم حجة الوداع : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى !!» .

وعلى عهد الراشدين - رضوان الله عليهم - ضمت أرض الإسلام أكبر إمبراطوريتين على وجه الأرض؛ الروم والفرس، فما فضل عربى على عجمى لعروبتة أو جنسه أو لونه، إنما كان الفضل بعد التقوى للعمل الصالح، والعمل الصالح وحده، وعرفت علوم الإسلام فى فروعها المختلفة فقهاء وعلماء من الأمصار ليس فيهم من العرب إلا التزر اليسير<sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن أبى ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان ديانا شديدا للعصبية للعرب : من كان فقيه البصرة؟ قلت : الحسن بن الحسن ، قال : ثم من؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما؟ قلت موليان . قال : فمن كان فقهائ مكة ؟ قلت : عطاء بن رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار، قال فما هؤلاء ؟ قلت : موال . قال : فمن كان فقهائ المدينة؟ قلت : زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر ونافع بن أبى نجيح ، قال : فما هؤلاء؟ قلت : موال ، فتغير لونه ثم قال : فمن كان أفقه أهل قباء؟ قلت : ربيعة الراى وابن أبى الزناد، قال : فما كانا؟ قلت : من موالى فما زال يسأله عن فقهائ اليمن وخراسان والشام، وهو يجيبه بأسماء من الموالى، حتى بلغ فقهائ الكوفة فقال : والله =

وفي الحديث، عرفت أوروبا فكرة القومية، ثم صارت متخلفة عن العصر، تشير إلى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، وصارت دعواها بذلك دعوى رجعية لكن الأمة العربية ابتليت بها .

عرفت :ميشيل عفلق زعيما لحزب البعث العربي الاشتراكي .

وأنطون سعادة زعيما للقوميين السوريين .

وجورج حبش زعيما للقوميين العرب .

وقسطنطين زريق أحد الزعماء الآخرين !<sup>(١)</sup> .

وهكذا لم تعرف القومية العربية زعيما ممن يحمل أسماء المسلمين إلا واحدا لا يزال عمله في ذمة التاريخ<sup>(٢)</sup> .

وعرض الكاتبون في القوميات لما تقوم عليه القوميات من أسس ليكشفوا عن عدم صلاحيتها ، فعرضوا لنظرية العرق التي قامت عليها القومية الألمانية، وما يزعمون عن العرق الآري الممتاز؛ ليكشفوا عن أن الألمان ليسوا شعبا خالصا ، بل خالط غيره .

وكذلك الشعب العربي ، خالط الروم والفرس والآتراك .

وفي كتاب كفاحي لهتلر جعل الأمة العربية في الدرجة ١٣ !

وعلى نفس المنوال عنصر اللغة .

فسويسرا تضم ٣ لغات .

والقارة الهندية تضم ٣٠٠ لغة .

---

= لولا خوفه لقلت:الحكم بن عقبة وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر فقلت: إبراهيم النخعي والشعبي ، قال: فما كانا ؟ قلت: عربيان .

(١) يشير معرب كتاب لعبة الأمم إلى أن : أكثر من تسعين بالمائة من قادة حركة القومية العربية الأفحاح هم من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت ، ولا تزال هذه الجامعة (وكانت تسمى سابقا الكلية الإنجيلية السورية ) ناشطة في تقديم مثل هذه الخدمات لدول منطقة الشرق الأوسط .. ويشير نفس المؤلف إلى أسماء زعماء القومية وكلهم من المسيحيين !

(٢) انظر كتاب : في الزنزانة للدكتور جريشة ، بعض هذه الأعمال .

وكذا سائر عناصر القومية من تاريخ وأرض ومصالح مشتركة ليس فيها عنصر خالص تقوم عليه القومية . هذا كله بالبحث العلمى الهادئ .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما لابس إثارة القوميات من أحداث تاريخية ، لبان ما قدمنا له من أن القومية أحد العناصر التى استخدمها أعداء الإسلام لإبعاد الأمة عن دينها .

إثارة القومية الطورانية فى تركيا اقترنت بتمزيق تركيا وإبعادها عن الإسلام ، وإثارة القومية العربية فى البلاد العربية اقترنت بتمزيق دولة الخلافة، ومؤامرات لورانس ومكماهون، قصدا إلى القضاء على الجسد الإسلامى الذى أسموه يومئذ بالرجل المريض !!

حتى الجامعة العربية ، كانت كما يعرف كل من عاصر أحداث العصر من صناعة وزير خارجية الإنجليز ! لتكون بديلا عن الجامعة الإسلامية، وفى كتابات حديثة لكتاب غربيين أشاروا إلى أن القومية العربية التى رفع رايتها فى مصر زعيم كبير ، كانت بديلا مهماً عن الشعار الإسلامى الذى كان يهدد بثورة فى المنطقة ، فكان الانقلاب العسكرى امتصاصا لمشاعر الأمة المتوتبة للإسلام !<sup>(١)</sup> .

### نتائج الدعوة القومية :

وهكذا ، فإن تيار الفكرة القومية كانت مهمته إقصاء الإسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامى ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا ، بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأية شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتى لم تكن تربطها بها أية رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية ، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ، ويقضى على الأخوة الإسلامية .

(١) لعبة الأمم لممايلز كويلاند - ص ٦٣ - ٦٥ .

فما دام باب القومية قد فتح على المسلمين ، فقد كان طبيعياً أن تنتهي إلى ظهور القومية الكردية في العراق والبنغالية في باكستان ، بعد أن أوصد الباب الذي يصل المسلمين بعضهم ببعض وهو الإسلام .

وقد شجعت الدول الأوربية الكبرى على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الإسلامي .

وخاصة بريطانيا وفرنسا ، يقول (لورانس) منفذ سياسة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى : « وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج ، وأتساءل : هل تغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ، وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني ؟ وبمعنى أصح : هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحي والإلهام ، وتستبدل سوريا بمثلها الأعلى الديني مثلها الأعلى الوطني ؟ هذا ما كان يجول في خاطري طول الطريق » <sup>(١)</sup> .

ومعلوم أن الثورة العربية على الأتراك قامت بتأييد بريطانيا ودعمها الأدبي والمادي ، ودعم حليفها فرنسا ، وقد ثبت أن عدداً من الزعماء كانوا متصلين بالقنصليات الأجنبية لتلقى هذا الدعم .

وينبه (جب) الأوربيين إلى أن العالم الإسلامي المترامي الأطراف يحيط بأوروبا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم، ويشير إلى أن وحدة الحضارة الإسلامية تمحو من الأذهان حينها حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومي؛ لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي والتقاليد الإسلامية .

وحيث يتحدث عن الحركات القومية التي أيدتها دعايات الحلفاء القومية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ينبه إلى أن هذا النصر التي حققته الاتجاهات القومية في الشرق الإسلامي يجب ألا يصرف الغرب عن الانتباه إلى تيار المعارضة الإسلامية

(١) لورانس : أعمدة الحكم السبعة .

الحفى، الذى يعارض فى تفتيت الوحدة الإسلامية إلى قوميات علمانية ، مينا أن هذه المعارضة الإسلامية هى أشد قوة فى البلاد العربية .

ويقول (جب ) فى صراحة تامة :«وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون - الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود فى تركيا ومصر وإندونيسيا والعراق وفارس، وقد تكون أهميته محصورة الآن فى تقوية شعور العداء لأوربا ، ولكن من الممكن أن يلعب فى المستقبل دورا مهما فى تقوية الوطنية الشعبية وتدعيم مقوماتها» (١) .

وهذا يعلل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية فى الشرق الإسلامى والعربى منه ، خاصة التى من شأنها تقوية الشعبية فيها ، وتعميق الخطوط التى تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم السابق على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه، والاستعانة على ذلك بالأنشيد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التى تلتقى فيها قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها ، ومثل العناية بتميز كل بلد من هذه البلاد بزى خاص - ولا سيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص، بعد أن كانت تشترك فى كثير من مظاهره (٢) .

### بين العروبة والإسلام وفضل العرب :

إذا كنا ننكر المبادئ العنصرية والقومية، فإننا نرحب باتحاد العرب وتعاونهم وتمتين أواصر القربى بينهم على أساس الإسلام، فالعرب هم مادة الإسلام ، بلسانهم نزل القرآن الكريم ، ومنهم اصطفى الله - عز وجل - الرسول الذى بعثه إلى

(١) فى كتاب : وجهة الإسلام .

(٢) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين .

الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ ولهذا فلا يمكن فصل العروبة عن الإسلام، أو فصل الإسلام عن العروبة، وليس عجا أن يكون تفكير العربي الصادق في عروبه تفكيراً إسلامياً .

ومن هنا كان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفرًا أو سبياً للكفر، وهذا معناه أن العرب أفضل الأمم وأن محبتهم سبب قوة الإيمان كما يقول أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - مستدلاً بحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال رسول الله ﷺ : «حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما من الكفر، وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر»<sup>(١)</sup> .

كما جاء في حديث آخر : « ... فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » .

وقوله ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه : « يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك » ، فقال سلمان : يا رسول الله ، كيف أبغضك وبك هداني الله؟! فقال ﷺ : « تبغض العرب فتبغضني » .

ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضل العرب أن يجعلوا عماداً يتكفل حوله ويوالى عليه ويعادى عليه ، وإنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزهم الله به، وأحيا ذكركم ورفع شأنهم ، فهذا لون وهذا لون، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم، وما منَّ الله به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم، وإرسال الرسول العام بلسانهم، ليس مما يقدمهم عند الله في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة إذا لم يؤمنوا كما يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز<sup>(٢)</sup> .

موقف الإسلام من الدعوة القومية :

إن مبادئ الإسلام ومبادئ الغرب متباينة كلياً في باب القومية ، فالذي يعتبره

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص (١٥٦) (القرب في محبة العرب) للحافظ العراقي .

(٢) نقد القومية العربية ص ٢٠، ٢١ .

الغريبيون مصدر القوة هو مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الإسلامية ، كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال : « لا تقس أمم الغرب على أمتك ، فإن أمة الرسول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين ».

لهذا كان من غير المعقول ولا من الممكن، كما يقول الأستاذ المودودي أن توجد في الأمة الإسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان ، كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة. من كان مسلماً وأراد أن يبقى على إسلامه، فلا بد له أن يبطل في نفسه الشعور بأي أساس غير أساس الإسلام، ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب .

وأخوف ما كان يخاف الرسول ﷺ على المسلمين أن تظهر فيهم العصبية الجاهلية فتفرق كلمتهم ، فكان يقول لأصحابه - دائماً : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ».

ولا يمكن بقاء الرابطة الإسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية ، ومن المغالطة الزعم بأن إحداهما تساير الأخرى ولا تضرها ، فعندما بدأ المسلمون في هذا الزمان يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم متأثرين بالأوروبيين ، صار العربي يتغنى بعروبته ، والمصري ينتسب إلى الفراعنة ، والتركي يتيه إعجاباً بتركته ، ويحاول أن يصل نسبه بهولاكو وجنكيز ، والفارسي يقول لشدة انفعاله بنعرتة القومية : إنه لم يكن من تأثير ( الإمبراطورية العربية ) إلا أن صار على والحسن والحسين - ﷺ - أبطاله، وإلا لكان رستم وإسفنندار وأنوشروان أحق أن يكونوا أبطاله القوميون في حقيقة الأمر وقد بدأ ينشأ في الهند مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية ، بل فيهم من يريدون أن ينقطعوا عن ماء زمزم ويتصلوا بهاء نهر جنجا ، وفيهم من تبعثهم أهواؤهم على اتخاذ ( بهيم ) و ( أرجن )

و(رام ها ) أبطال الهندوس القدماء أبطاهم القوميين، وليس هذا كله من هؤلاء السفهاء الراكين رؤوسهم إلا لأنهم ما عرفوا ما يملكون من الحضارة وما يملكه الغرب ، وما تبينوا ما بينهما من الفرق الجذرى ؛ لأن عيونهم كليلة عن المبادئ والحقائق فلا ينظرون إلا إلى السطح، ويبهر عقولهم ما يجذونه بارزا عليه من الفقايع والألوان الظاهرة ولا يعلمون أن الشيء الذى هو ماء الحياة للقومية هو نفسه ، السم الزعاف للرابطة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

إن بطلان الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات مما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة ؛ لأنها منكر ظاهر ، وجاهلية نكراء ، وكيد سافر للإسلام وأهله ، وذلك من وجوه أربعة :

أولاً : لأنها تفرق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمى عن أخيه العربى ، بل تفرق بين العرب أنفسهم وتقسّمهم أحزابا ، فهى بذلك تخالف مقاصد الإسلام الذى يدعو إلى الاجتماع والوثام ، قال - تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

ثانياً : لأنها من أمر الجاهلية؛ فهى تدعو إلى غير الإسلام، وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب وولد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية ، كما يقول الشيخ ابن تيمية - رحمه الله - مستشهدا بقوله ﷺ : «أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهوركم» .. والنصوص فى ذلك كثيرة منها ما رواه مسلم أن النبى ﷺ قال : «ليس منا من دعا إلى عصبية ، ليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من غضب لعصبية» ، وقوله : «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفنى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد» ، ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ، ويقاتلون على عصبية ، ولا ريب - أيضا - أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغى والفخر ، وإنما هى فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها .

(١) المودودى (بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية ) ص ٦٨ .

والإسلام بخلاف ذلك ، فهو يدعو إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله ، وأن يكون المسلمون الصادقون من كل أجناس بنى آدم جسدا واحدا وبناءً واحدا يشد بعضه بعضا، ويألم بعضه لبعض ، وفي الحديث الصحيح : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، ويشبك بين أصابعه ، و «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن ، السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلى أن يراجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى<sup>(١)</sup> جهنم » قيل : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ قال : «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»، وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأدلة وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية، واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعواتها أن يكونوا من جثى جهنم .

ثالثاً : لأنها تؤدي إلى موالاتة الكفار العرب وملاحقتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم ، وفي ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة، كقوله - تعالى: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَأُتَّخِذُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصْرِيِّ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة : ٥١].

والقوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية

(١) جمع جثوة ، وهي الشيء المجموع ، وقوم جثى جلوس (أ: هـ) لسان العرب : يقول شاعر القوميين : سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم



وأخيرا ، فينبغي ألا ننسى أن القومية قد اقترنت في التاريخ الإسلامي الحديث بالعمالة للاستعمار ، كما اقترنت بالعداء للإسلام ، كما ظهر مما قدمناه من مؤامرة لورانس وأمثاله .

### ثالثا : تحرير المرأة

كما كانت العلمانية شعارا خادعا ، يخفى وراءه الحرب على الدين .  
وكما كانت القومية شعارا خادعا كذلك ، يستعمل في مواجهة الدين .  
فلقد رُفِعَ هذا الشعار « تحرير المرأة » بقصد اجتذاب المرأة المسلمة واستخدامها حربا على دينها .

وأول من أوصى به أحد مؤتمرات التبشير .  
وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة .  
ثم تبعهم المستشرقون .  
وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم ، وهم في شرقنا الإسلامي كثير .

ماذا يقصدون بالتحرير ؟

التحرير لا يكون إلا من عبودية ..؟

فهل كانت المرأة المسلمة كذلك ؟

إن المسلم لا يعطى العبودية لمخلوق ، بل يعطيها للمخالق وللخالق وحده ، ومن ثم فإنه أكثر الناس تحررا من عبودية المخالقي سواء كانت آدمية ، أو كانت مالا ، أو جاها ، أو سلطانا أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيا .

والمرأة المسلمة لها ما للرجل : ﴿ وَهَنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَاللرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . هذه الدرجة ليست درجة العبودية أبدا ولن تكون ، لكنه أمر اقتضاه التنظيم ، أن يكون للسفينة ربان واحد لا ربانان ، وإلا لغرقت السفينة بمن فيها .

ولقد سبقت المسلمة غيرها من النساء .

فعرفت واجبها ، وعرفت حقها .

وكانت لها الشخصية القانونية المستقلة .

تتعامل باسمها دون حاجة إلى اعتماد تصرفها من أحد ، بينما ظلت المرأة الفرنسية لا تتعامل باسمها وحده بل لابد من إجازة الزوج لتصرفها ، وذلك إلى عهد قريب .  
فماذا يعنى التحرر أو التحرير ؟ بعدما أعطاه الإسلام ما لم يعطها نظام آخر .  
قالوا : إنه يعنى تحريرها من بيتها .

وتحريرها من زيبا .

قلنا : وبماذا يخدّمهم تحريرها من بيتها ، وتحريرها من زيبا؟ وبعبارة أخرى: كيف يمكن من خلال هذا وذاك إبعاد الأمة عن الإسلام ؟  
المرأة بلا شك نصف المجتمع .  
وهى نصف خطير .

لأنه يؤدى رسالة خطيرة ، وإن غفل عنها الكثيرون .

إن الذين يتخرجون من المدارس والجامعات يمكن تعدادهم ، ويمكن أن يوجد غيرهم لم يتخرجوا من هذه أو تلك ، أما الجامعة التى لابد أن يتخرج منها كل مسلم بل كل إنسان فهى الأم .

فإن صلحت صلح خريجوها .

وإن فسدت فسدت خريجوها .

وتحرير المرأة من بيتها يعنى إغلاق هذه الجامعة .

وإذا كانت هذه هى الجامعة الأولى التى خرجت من قبل تلك الأجيال العظيمة التى حملت إلينا الإسلام ، بل حملته للدنيا كلها ، فإن إغلاق هذه الجامعة يعنى انعدام الخريجين من ذلك الطراز ، ويعنى غلبة الخريجين من طراز آخر .

ولقد رأينا فى عصرنا بداية الشار ، رأينا عن تسلطوا على فكر هذه الأمة ، بل

وعلى سلطانها من كانت أمه راقصة في نادٍ ليلي .

وأخرى تعمل في الغناء .

وليس بين الاثنين كبير اختلاف .

أما ماذا يعنى تحريرها من زيبها ؟

فإنه يعنى : كشف ما أمر الله أن يستر ، وهتك ما أمر الله أن يسان .

يعنى : عرضا رخيصا لسلعة غالية ، صانها ربها ، وصانها الإسلام .

يعنى : إثارة اللحم والدم ، وهو أمر لا يستطيع أن ينكره إلا غيبى أو متغاب .

فإذا أضفنا إلى تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيبها ، كانت النتيجة - نتيجة

الاثنين - غير نتيجة الواحد .

إن التحرر من البيت وحده ، قد يكون له النتيجة السلبية الخطيرة السابقة ، وهى

حرمان الأمة من جامعة تخرج أجيالا .

وإن تحرر المرأة من زيبها وحده ، قد تكون له النتيجة الإيجابية الخطيرة السابقة ،

وهى الإغراء بالفاحشة والدعوة إليها .

لكن التحريرين قد يعينان فوق النتيجة السلبيتين مجتمعتين ، نتائج أخرى

أخطر وأشد ، إن أولها - بلا شك - انحلال المجتمع وسقوطه ، بسقوط قيمه

وأخلاقه ومثله .

إن فرنسا - غير الإسلامية وصاحبة الإمبراطورية الكبيرة - سقطت تحت أقدام

ألمانيا على مدى أسبوع واحد وهى - كما صرح رئيس وزرائها : إن فرنسا هزمتها

الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال .

فما بالنابأمة إسلامية ، أساس نظامها عقيدة وأخلاق .

وما بالنابأمة إسلامفة لم تصل بعد من ناحية القوة المادية إلى ما وصلت إليه فرنسا أو أمريكا . إن إشاعة الانحلال - فى الأمة الإسلامية - عن طريق تحرير المرأة من بيتها وزبها - فعنى أن الأمة الإسلامية، وهى بعد لم تقف على قدميها ، تماما كما يصاب الطفل بمرض خطير لا يستطيع أن يقاومه الرجل الكبير .

إنها جريمة كبرى ، وخيانة عظمتى ، يقارفها كل من يدعو إلى هذا السبيل بالكلمة أو الصورة أو القدوة السيئة .

وفى عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥) طالب « جوزيف ريد» المدير العام لهيئة رعاية الأطفال بعقوبات شديدة ضد الأشخاص الذين يتاجرون ببيع الأطفال فى السوق السوداء ، حيث يباع سنويا خمسة آلاف طفل .. وكلهم - بكل أسف - جاؤوا من سفاح ويجرى الاتفاق مع الفتيات اللاتى حملن بهن من غير زواج مقابل مبلغ من المال إلى جانب التكاليف الصحية والسكنية<sup>(١)</sup> .

أى جيل يكون ذلك الذى لا يعرف له أبا ولا يعرف له أما كذلك ..؟

أى ارتداد إلى عصر الرق الذى يباع فيه الأطفال ويشترون ؟

ترى ، هل يخرج لنا محرر المرأة - فى شرقنا الإسلامى - ما أخرجه فى ذلك الغرب الصليبي ..؟

وهل نقم منا الغرب أن كانت لنا روابط أسرية متينة يقوم عليها - بإذن الله - مجتمع متين ..؟

أم نقم منا أن لنا ديننا، هو سر ابتعائنا بين الحين والحين ، فخشى - هذه الابتعائة ، ورجب لنا فى رقدة لا نهوض بعدها ولا قيام ؟

أما المرأة الريفية :

فلم يشأ المخططون لتغريب المسلمين أن يتركوها فى حالها وحيائها ، أصروا على

(١) مجلة المجتمع - العدد ٢٤٩ - ٢ جمادى الأولى ١٣٩٥ - ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ نقلًا عن : وكالة اليونيتدبريس - واشنطن .

أن يغزوها في عقرب دارها؛ ليذهبوا بما بقي من حياتها ، لتشارك أختها في المدينة ما وصلت إليه من مدنية تحت ستار الأمم المتحدة انطلقت أمريكا تغزو الريف المسلم (باسم التربية الأساسية) .

أما ما هي التربية الأساسية ..؟

فهي كما عرفها أحد سدنتها الدكتور حامد عمار في بحث ألقاه في مؤتمر أمريكي : منهج من مناهج الإصلاح الاجتماعي لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية (وتغيير الأفكار والتزعات) .

وفي مكان آخر : تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والتزعات والاتجاهات<sup>(١)</sup> .

وفي سرس الليان - مصر - مركز للأمم المتحدة .

وفي قرى سوريا مراكز<sup>(٢)</sup> وقد تكون وصلت إلى غيرها .

أما قضايا المرأة :

التي يتعمدون إثارتهما بين الحين والحين؛ ليظهروا بمظهر المدافعين عن المرأة، المحيين لمصلحتها ، فزوبعة في فنجان ، فنسبة الطلاق في البلاد الإسلامية ضئيلة . ونسبة التعدد أشد ضآلة .

بما لا يصح أن يرتفع الصوت معها كأنها مشكلة أو قضية<sup>(٣)</sup> .

ولئن كانت هناك قضية أو مشكلة فهم سببها .

(١) حصوننا مهددة من داخلها - للدكتور محمد محمد حسين - الناشر مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت، ص ٤٨ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق .

(٣) في حديث الحبيب بورقيبة بأهرام ٢٠/١٢/١٩٧٥ صرح الرئيس التونسي بأنه أصدر في سنة ١٩٥٦ قانوناً يمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة وغرامة مالية (٢٤٠ ديناراً) .. وفي مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط متلبساً بجريمة الزواج بثانية ، ولم يخل سبيله إلا بعد أن قرر أن هذه الثانية خلية وليست زوجة .. وهكذا يطيب لبعض الحكام أن يجرموا ما أحل الله، وأن يجلوا ما حرم الله إلا ساء ما يزررون .

حين تسببوا بوسائل إعلامهم في تصديع البيوت ، وفي إثارة المشاكل ، وحين تسببوا بدعاوى المساواة العريضة في ألا يكون للبيت قوامة، وأن يكون فيه رئيسان الرجل والمرأة ، رئيسان في مركب واحد يغرقانه (كما هو المثل) .

ثم حين ساندوا وساعدوا انحلال الأخلاق وانفلتت من قيود الدين ، فلم يعد الرجل يخشى الله في المرأة ، ولم تعد المرأة تخشى الله في الرجل .  
فدب الخلاف والشقاق .

والحل ليس تحررا من الدين أو مزيدا من التحرر .

وإنما عودة إلى الدين والتزام بضوابطه ، وأخلاقه .

تصير المشكلة محلولة .

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

هذه ، شعارات الغرب ، ووسائله .

لإحداث التغيير الاجتماعي فينا .

علمانية :

في التعليم .

في الإعلام .

في القانون .

قوميات :

تمزق الأمة الواحدة .

وتمزق الدولة الواحدة .

تحرير المرأة :

ليسقط المجتمع في حماة الرذيلة .

ويقتضى بنفسه على نفسه .

ولو نجحت هذه الدعوات ، فماذا يبقى لنا من الإسلام ..؟

وإذا نجحت فماذا يبقى في مجتمع لم يقف بعد على قدميه ..؟

لقد استجاب لها الطامعون في السلطة .

واستجاب لها الراغبون في السقوط؛ لأنهم لا يقدرّون على الارتفاع.

واستجاب لها السذج الجاهلون ، الذين حسبوها علاجاً لهذا الشرّ الإسلامي

من تحلّفه وعدم نهوضه .

وبقى أن ينهض العالمون الصادقون ؛ ليفضحوا المخطط الأثيم للقضاء على

الإسلام والمسلمين .

بقى أن ينهض العالمون الصادقون ؛ ليقوموا بما قام به من قبل نبيهم ورسولهم

محمد عليه الصلاة والسلام ، فهم خلفاؤه على ميراثه ، وهم الأمانة على رسالته ،

وهم أمل الأمة الباقى بعد أن تردى غيرهم وسقط في الشرك .

ولنكمل الصورة أو نقرب بها من الكمال ، نقدم لأمتنا بعضاً مما فعل ويفعل

الصليبيون ؟

## المبحث الرابع ما يفعل بنا الصليبيون

لسنا نثير أحقادا ..

فنحن على استعداد أن نعاملهم بما أمرنا به القرآن إن كفوا عن قتالنا وقتلنا،  
وتشريدنا وإخراجنا من ديارنا : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ  
وَلَمْ يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [١] إِنَّمَا  
يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى  
إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ﴾ [المتحنة] فَإِنْ لَمْ يَكْفُوا عَنِ قِتَالِنَا وَقَتْلِنَا ، وَعَنِ إِخْرَاجِنَا  
وَتَشْرِيدِنَا ، فَهَمُ الَّذِينَ يَثِيرُونَ الْأَحْقَادَ ، وَهَمُ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء] .

ولن نأتى من القديم .

لندكر قومنا :

بما فعلوه يوم دخلوا بيت المقدس ، فذبخوا فيه سبعين ألفا من المسلمين حتى  
غاصت الخيل إلى صدورها في دماء المسلمين<sup>(١)</sup> .  
ولا بما فعلوه في الجزائر ، حين قتلوا مليون شهيد .

ولا بما يثيرون من أحقاد حين يحفظون جندهم: «أنا ذاهب إلى طرابلس فرحا  
مسرورا ؛ لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة ؛ لأحارب الدولة الإسلامية التي تجيز

(١) حاضر العالم الإسلامي، الكاتب الأمريكي ستودارد ص ٢٠٨ ، وحضارة العرب للكاتب الفرنسي  
غوستاف لوبون ص ٣٢٦-٣٣٠ .

البنات الأبيكار للسلطان !! سأقاتل بكل قوتي لأمحو القرآن»<sup>(١)</sup>.

ولا بما يخططون له حين يقول أحد قادة فكرهم : « إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تنزل نذير خطر للمسيحية » وحين يكمل آخر : « متى توار القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا - محمد - وكتابه ».

وحين يضع لهم أحد فلاسفتهم الحل النهائي، فيقترح أن يباد ثلثا المسلمين وينفى الثلث الثالث، وتهدم الكعبة وينقل قبر الرسول ﷺ إلى متحف اللوفر<sup>(٢)</sup>. سنترك هذا وغيره جانبا .

لنذكر قومنا بما يجرى - الآن - حيث يدعون أنهم تحلوا عن عصبيتهم أو صليبيتهم .

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

#### ١- في الفلبين :

يتعرض المسلمون في الفلبين لحرب إبادة لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلا . فهم يجلبون من قبل الصليبيين عن أراضيهم التي خصها الله بالخصب والنماء ، فإن رفضوا تعرضوا للإبادة من قوات الجيش الفلبيني التي لا تكتفى بمجرد الحرب الشريفة، بل تستعمل كل وسائل الإبادة الممنوعة مثل الغازات والنابالم ، ثم هي بعد ذلك تمثل بالجثث وتنتقم من الجرحى والأطفال والنساء .

وفي بيان للأخ عبد الباقي أبى بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجهة تحرير مورو مؤرخ ٢٩ مارس سنة ١٩٧٦ ، ينقل عن عمدة بانكوك محمد صالح عثمان قائد المجاهدين الذى لا يزال يقاوم الحصار منذ ١٦ شهرا، والآن - يعزز الجيش الحصار بـ ٨ كتائب جديدة غير قوات الطيران التى تقصف المنطقة ليلا ونهارا

(١) نشرت هذا النشيد مجلة الرابطة الشرقية ، السنة الثالثة ، العدد الثانى سنة ١٣٤٩ ، وقد تقدم هنا فى «مبحث التبشير» .

(٢) الفيلسوف الفرنسى كيمون .

والبواخر التي توجه ضرباتها المركزة من المدافع الفتاكة بدون انقطاع . وفي مرارة يختم كلامه : « بيدولى أن المسلمين في العالم لم يعرفوا حقيقة الوضع الذي نعيشه أو أنهم يتجاهلوننا»، ثم يقول أمين عام الجبهة : «وكتيجة لهذه المعارك التي لا تزال دائرة للآن قتل ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ مسلم» ، ثم يقول: دوماركوس يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من المسلمين، ولكنه يريد أن يسرق المسلمين ويسرق أنظار العالم»<sup>(١)</sup> .

## ٢- في إثيوبيا :

كان أسد الحبشة يضطهد المسلمين اضطهادا شديدا ، فرغم أنهم في حقيقة الأمر يمثلون أغلبية البلاد ، فإن أحدا منهم لا يشترك في الوزارة ولا في الحكم ، بل ولا يسمح له بارتقاء منصب قيادي من أى لون ، ولقد صارت سجون إثيوبيا مقابر للمسلمين الذين يجأرون مما هم فيه ، ولأسد الحبشة هواية في تعذيب المسلمين ، إنه يأمر بربط أيديهم إلى أرجلهم ، ويبقون على هذا الحال سنين حتى تتقوس ظهورهم ، وتأخذ شكل المنحنى ، فإذا أفرج عنهم لم يستطيعوا المشى إلا على أربع !!

وكنا ننتظر بعدما أسقط الإمبراطور بانقلاب عسكري أن النظام سوف يتغير، لكن الحقيقة أن القبضة العسكرية الحاكمة اشتدت على المسلمين حتى إن تقريرا عرض على المجلس العسكري وتم إقراره بصرح: لقد حان الوقت أن نعرف جيدا من هم أعداؤنا، لقد اختار العرب وعملاؤهم أن يكونوا أعداءنا، وعلينا أن نعاملهم على هذا الأساس<sup>(٢)</sup> .

إن المجازر التي يتعرض لها الثوار المسلمون في إريتريا أمر يحرك كل ذى ضمير أو مروءة « لكن أين المروءة ؟ » لقد خفت حتى اختفت .

(١) مجلة المجتمع ، العدد ٢٩٦ ، السنة السابعة ، ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ - ١٠ من أبريل سنة ١٩٧٦ م.

(٢) مجلة المجتمع ، العدد ٢٩٧ ، السنة السابعة ، ٢٧ من ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ - ١٦ من أبريل سنة ١٩٧٦ م.

### ٣- المسلمون في تايلاند :

نشرت مجلة الاعتصام القاهرية أنه :

أ- في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٧٦ قامت السلطات التايلاندية بهدم المسجد الكبير في ولاية (بنارا) في إطار مخطط يستهدف إزالة الآثار الإسلامية ، ومنع المسلمين من إقامة شعائرتهم الدينية، وتشجيع ممارسة البوذيين لطقوسهم أمام المساجد، وبناء الأصنام في كل المدن بالولايات الإسلامية الأربع في فطاني .

ب - في محافظة تلوية في ولاية فطاني قام خمسة أشخاص من المنشأة البحرية التايلاندية بذبح خمسة من القرويين المسلمين الأحياء ، ومثلوا بجثثهم ، ثم قذفوا بها إلى البحر .

انطلقت مظاهرة احتجاج تعرضت لها القوات التايلاندية، سقط فيها عشرون شهيدا ، وجرح فيها المئات .

ج- قامت العصابات التايلاندية في الفترة الأخيرة بحرق إحدى قرى المسلمين في محافظة (جاها بولاية جالا) ، وتسعى العصابات البوذية إلى تشجيع هجرة البوذيين من شمال البلاد إلى الجنوب الإسلامي وإقامة مستعمرات فيها .

وبعد ، فهل نجح الغرب في حربه الفكرية لنا ؟

#### أولا : بالنسبة للأسلوب

حين نجح انقلاب « كمال أتاتورك » العسكري ، واستطاع أن يحقق ما كان الغرب يبغيه ، سلم الحلفاء في اتفاقية لوزان باستقلال تركيا .

ذلك أنه بإلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا سنة ١٩٢٤ ، تحقق أمل بعيد للصليبية ومن وراءها ، حاربت من أجله دهرا طويلا .

وحاول كمال أتاتورك - بعد ذلك - سلخ تركيا من إسلامها ، بما فرضه من علمانية التعليم ، وعلمانية القانون ، وتحرير المرأة المسلمة التركية ، واختلاطها بالرجال في كل المجالات ، ثم بما فرضه من إلغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية، ومن محاولته تغيير الزى بالقوة .

وعد ذلك كله نجاحا !! شجع الغرب بعد ذلك على مزيد من الانقلابات العسكرية في المنطقة الإسلامية بهدف إبقاء السيطرة أو القوة تابعة له؛ لتنفيذ البرنامج أو المخطط الموضوع لإبعاد المسلمين عن دينهم وتحقيق التغيير الاجتماعي أو ما يطلق عليه التغريب.

لكن المراقبين لمجريات الحوادث أحسوا بقصور التجربة الكمالية في تركيزها على جانب القوة ، فنصحوا إلى جوارها بمحاولة تثبيت النتائج التي تصل إليها الانقلابات العسكرية وتعميقها في الشعوب <sup>(١)</sup> ، وحسبنا ذلك انتقادا لانقلاب أتاتورك .

فإذا أضفنا إليه ، أن ما بلغه كمال أتاتورك لم يغير شيئا من الشعب التركي ، بل إنه على العكس من ذلك زاده استمساكا وتصميما ، وأنه لولا ظروف تركيا الدولية وإحاطة الأعداء بها من كل جانب، لكان للشعب من أتاتورك وغيره من الأتاتوركيين شأن آخر.

وهناك أمر لا يزال غائبا عن أولئك الذين يجرون التغيير ، أنهم يحاولون تبديل بناء ببناء .

(١) يشير إلى هذا المعنى مورو بيرجر ص ٣٢٥ حين يقول : وقد يتطلب تعميق هذا المعنى، ونحويله إلى رغبات وأذواق ومشارب تلقائية حرة عملية ثابتة طويلة الأخذ بوسائل أقل تعنيفا وتحكما وذلك بعد إشارة إلى التغيير الاجتماعي بالطريق العسكري، كتاب العالم العربي اليوم ، المرجع السابق. ونهدى إلى الغرب قول عصمت إينونو، وهو في مرض موته : إننى لا أكاد أصدق ما أرى ، لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الإسلام من نفوس الأتراك، وغرس مبادئ الحضارة الغربية مكانه، فإذا بنا نفاجا بما لم نكن نتوقمه ، لقد غرسنا العلمانية فأثمرت الإسلام (المجتمع العدد ٢٥٦ ، ٢١ من جادى الثانية ١٣٩٥ هـ يوليو ١٩٧٥ م) .

محاوون هدم البناء القديم ، وإقامة بناء جديد .

إن الانقلابات العسكرية تلجأ في وسيلتها للتغيير إلى العنف والقوة ، والقانون الطبيعي أن كل فعل له رد فعل مساو له في القوة ، ومضاد له في الاتجاه .

والقانون الطبيعي كذلك أن زيادة الضغط تولد الانفجار .

ولعلهم يتغلبون على ذلك بالتغيير من حين لآخر ، امتصاصا للبخار الحبيس أن يؤدي إلى الانفجار ، لكن التوقيت قد يخطئهم .

فيحدث الانفجار قبل التوقيت الذي ضربوه ، وعلى نحو لا يستطيعون السيطرة عليه ولا على نتائجه .

وأخيرا ، لقد انكشف هذا الأسلوب وتعري ، وأساء العسكريون إلى أنفسهم وإلى الذين يعملون لحسابهم، أساؤوا أكثر مما أحسنوا .

وإذا كان الغرب - بحصافته - قد أدرك فشل الأسلوب القديم ، أسلوب احتلال الشعوب بالقوة العسكرية ، فعليه - بحصافته - أن يدرك قبل فوات الأوان فشل الأسلوب الجديد ، أسلوب تغيير الشعوب بالقوة العسكرية عن طريق الانقلابات العسكرية .

هذا عن الأسلوب الجديد ..

فماذا عن الهدف الجديد ..؟

### ثانيا : بالنسبة للهدف

كان الغرب «ذكيا» حين أدرك - في وقت مناسب أو متأخر - أن التصير كهدف لحملة الفكرية المؤيدة بالقوة العسكرية - خارجية أو داخلية - أن ذلك الهدف فشل ، وأنه برغم الجهود الضخمة البشرية والمالية والإعلامية والتعليمية ، فإن

النسبة التي تم تنصيرها من المسلمين نسبة تافهة ، يمكن أن تلحق بالعدم لتكون النتيجة سلبية تماما !..

”لذا كان البديل عن التنصير وإخراج المسلمين عن دينهم ، هو التغيير والاكتفاء بإبعاد المسلمين عن دينهم .

وهو ما تبذل له الجهود اليوم؛ من تعليم علمانى، وإعلام علمانى، وقانون علمانى، وتحرير للمرأة من زيارتها ومن بيتها، ثم ما يبذل من حظ لقيمة الدين وقيمة علمائه ودعائه.

فهل يا ترى نجح الهدف الجديد؟

نجاح أمر يتعلق بالأُمم والشعوب ، لا يحكم عليه في سنين ، ولا في جيل ، فقد لا تظهر نتيجته إلا بعد أجيال، وقد تكون النتيجة الواضحة أن التغريب نجح في إبعاد المسلمين عن دينهم بما فيه من قيم إيمانية ، وقيم أخلاقية ، وقيم قانونية، وأن المسلمين استبدلوا به قيم الغرب، حتى في عاداتهم وفي لبسهم وفي طريقة أكلهم وشرابهم وفي تعاملهم و «إتيكيتهم» !

لكن هذه النتيجة مشكوك في صحتها .

إنه على قدر عمق التغيير «الاجتماعى» الذى حدث استبدالا بقيم الإسلام قيم الغرب وتقاليده ، فلقد حدث على نفس العمق أكبر استمسالك وإصرار على النظام الإسلامى عقيدة وأخلاقاً وعبادة وقانوناً، وماج العالم الإسلامى بحركات كثيرة عميقة وأحيانا عنيفة تدعو إلى الإسلام كمنهج متكامل للفرد والأسرة والمجتمع والدولة!  
وبدا أن الجمر يتقد تحت الرماد .

فهل يتركونه حتى يكون نارا تحرق ، وفي نفس الوقت نورا يضي ؟

أم يحاولون أن يأخذوا نوره ، وأن يتقوا ناره ..؟

وعلى الذين يمارسون التغيير أن يحذروا .

فقد تصيبهم النار قبل أن يغشى عيونهم النور ، وعليهم أن يغيروا من هدفهم  
فلقد انكشف للناس .

وخير للغرب أن يتعد عن فتنة المؤمنين عن دينهم ، فإن السهم قد يرتد أول ما  
يرتد إلى صدره ، وقد تصيبه النار قبل أن يرى النور ، خير أن يحتفظ «بصداقة»  
الشرق الإسلامي ، ويحافظ على مصالحه الاقتصادية والتجارية فيه من أن يصر على  
التغيير ، فيفقد هذه المصالح ، ويجنى العداة إلى الأبد.

إن المسلمين لا يعادون الذين لا يقاتلونهم في الدين ولا يخرجونهم من ديارهم ،  
بل إنهم على العكس يسألونهم ، ويبرونهم ، ويقسطون إليهم ، فذلك أمر دينهم : ﴿لَا  
يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ  
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [المتحنة] .

لكنهم في نفس الوقت ينقلبون مع الزمن ، طال أو قصر ، إلى أسود غضاب إزاء  
من يقاتلهم في دينهم ويفتنهم فيه ، وإزاء من يخرجهم من ديارهم ويسلبهم  
أوطانهم ، ذلك أمر ربهم : ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ  
دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾  
[المتحنة] .

خير للغرب أن يدرك أنه يمكن لحضارته أن تعيش إذا تركت حضارة الإسلام كذلك  
لتعيش ، وأنه يمكن للحضارتين أن يتعايشا : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥٨﴾﴾ [الكافرون] ، وأنه  
خير أن تتعايش الحضارتان من أن تصر حضارتهم على العيش وحدها .  
فتفنى بإذن الله وحدها .

لأننا نؤمن أن الله حافظ دينه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥٩﴾﴾  
[الحجر] ، ﴿وَاللَّهُ مُمِيتُ نُوْرِهِ﴾ [الصف : ٨] ، ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٢٥٦﴾ [التوبة]، فأى الطريقين يختارون ؟

ولا يخشى الغرب أن يغزوه الإسلام مرة أخرى .

فحسبنا اليوم وسائل الإعلام .

وحسبنا اليوم وعى الناس .

وحسبنا اليوم أن نترك لهم الخيار ، فإنه : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

الْغَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

وحسبنا درس الامتداد العضوى الذى مارسه تركيا من غير بسط فكرى ولا

عقائدى .

فارتد المد جزرا أصاب الأمة فى كبدها وفى قلبها ..

حسبنا الدرس التاريخى ، أن نكرره مرة أخرى .

وحسبنا أن ننظم بيتنا، ونضمد جروحنا، ونستعيد أنفسنا، فأمامنا لذلك سنين

إن لم يكن قرون ..!

ولا نترك هذا التعقيب، حتى نقول لأبنائنا وإخوتنا - ممن لا يزالون - وإن كانوا

قلة - فإنهم أعزاء علينا أن يفارقونا، ويفارقوا قومهم، نقول لهم :

إن فى الغرب بضاعتين ؛ بضاعة يزجىها إليكم ، وبضاعة يضمن بها عليكم .

فأما التى يزجى ، فإنها تسلبكم أخلاقكم ، وقيمكم ، وتاريخكم ، وشخصيتكم .

وأما التى يضمن ، فهى سر تفوقه المادى عليكم ، هى علمه وفنون صناعته

(تكنولوجيته) .

فما بالكم أقبلتم على التى يزجى ، وتركتم التى بها يضمن !!

فما حصلتم غير القشور، غير الزبد، وتركتم ما ينفع الناس !

إن في خزائنا الجواهر ، وإن علاها التراب مر؛ طول الزمن وكثرة الكيد<sup>(١)</sup> ، وإن ما عندهم سراب خادع، أو معدن براق ، لكنه غير أصيل ، فلا ينبغي أن نترك الجواهر في خزائنا ، لنمد أيدينا للمعادن غير الأصيلة .

ما ينبغي أن تكون اليد المتوضئة هي السفلى .

واليد الأخرى هي العليا .

فكيف إذا كانت اليد المتوضئة تملك الجواهر ؟ كيف ترضى أن تمتد ، وأن تكون هي السفلى ؟!

وذلك لا يمنع من أن نستفيد بعلم الغرب وتجربته .

من غير أن نهجر قيمنا ، ومبادئنا ، وأخلاقنا ، وعقيدتنا من غير أن نترك ديننا ، فلا نبيع ديننا ولو كان بالدنيا كلها ..!

---

(١) يقول الشاعر :

إن الجواهر في التراب جواهر والأسد في قفص الحديد أسود